مايا

كريم أمين

عصير الكتب
fb.com/Book.juice

الحكمة
طباعة - نشر - توزيع

كريم أمين

مايا

الحكمة

المؤلف

الكاتب كريم أمين من مواليد القاهرة عام 1984م، درس الفلسفة والتاريخ كحبه لهما، ثم التحق بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وهو شخصية باحثة ناقدة بناءة، يعشق التجوّل في أروقة الفكر، متمكن من فنون الحوار والإقناع، يؤمن بأن العقل نقر بلا ضفاف يتسع لكافة الآراء والانتماءات وضرورة احتوائها. شغف بالآداب واللغة العربية بشكل خاص منذ الصغر، فأولاها اهتمامًا خاصًا، وداب على تعلّم قواعدها واتقانها. يقوى اطلاعات الأدبية والثقافية لروائيين ومفكرين وادباء وشعراء شرقيين وغربيين، لم يتوقف عند إتقان اللغة العربية فقط بل خطاها إلى لغات أخرى كالانجليزية والاسبانية والتركية، ونال عدة شهادات تقدير من دورات ثقافية وعلمية متنوعة. يثق بالكميّة انصهار روحي العلم والأدب في جسد واحد، فيبذل المجهود لتحقيق هذا الهدف السامي، ويسعى دائمًا بحبّة ونهم لتحصيل العلم، وإخراج ما يجتاحه من خيال ممزوج بالواقع عبر افكار بعضها مجنون والآخر بتعقل وبصيرة، آملًا من الله أن يصل كل ذلك إلى القارىء في صورة رسائل تحمل الجمال والحكمة والعبرة الهادفة التي يؤمن بها أي إنسان يحمل قيمًا نبيلة.

من اعماله: اطوانيزا الهاربة

هذا الكتاب

ظلام فجاة على شاشة عملاقة يهدّد الأرض وساكنيها ما لم يسلموه نجمته الطفوّدة. عصفت اباديه بمدينة تلو الأخرى بحثًا عن ضالته المنشودة حتى ظفرت أخيرًا

أيّ نجمة تلك التي يريدها؟،

وما السر الذي يخفيه في حياتها؟

رواية غريبة من نوعها تجمع بين الواقع والخيال بسرد قصصيّ مائع، تسطر حروفها اروع المشاهد السينمائية والتي تطير من دولة إلى أخرى برشاقة لتبرز أحداثها بطريقة مدهشة، صراعات عنيفة بين الخير والشر لكن بطريقة مختلفة، تفوح من فاكهتها رائحة الحبّ التي تطغى على الكراهية وتسمو فيها الأخلاق العالية بعيدًا عن أيّ نفس دانية.

رواية تقبض على انفاسك بشدّة ولا تفلتها إلا في السطر الأخير..!

الأسطورة مايا.. واسرارها..!

عصير الكتب
fb.com/Book.juice

رواية مَايَا

تأليف

كريم أمين

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

دار الحكمة
طباعة - نشر - توزيع

جمهورية مصر العربية – القاهرة
زهراء مدينة نصر – المرحلة الثانية
تليفون وفاكس: ٢٤١٠٦٧٤٨ – م: ٠١٠٠٠١٣٥٤٠٦
www.dar-elhekma.com
info@dar-elhekma.com

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

البريد الإلكتروني: **phiilosopherr@yahoo.com**

صفحة التواصل الاجتماعي:

http://www.facebook.com/groups/337343846335462/

نمضي في طريقٍ بدأناه معًا،
تأخذنا أمواجُ بحاره المتلاطمة
نتقلَّب في رياحه الهوجاء
نقع.. ننهض.. نمشي .. نضعف
فتقوِّينا السَّماء؛
كم جميلٌ أنَّ الجِوار عَمَار
يداه مبسوطتان لكَ.. خَضار
أن يكون حِماك، قِواك حين تثور
وجهًا ضحوكًا، كلُّه نضرةٌ ونور
كم جميلٌ أن يكون شراعَك الأخَّاذ
وذراعَك المفتوحَ دون النَّاس
محبوبي.. يا صنوَ الجمال
قُل لي بربِّك هل أسري في حُسنك أَم الدلال
قُل لصاحب القَدَر وابذُل تضرُّعَا
فالجودُ منه مَلأ القلوبَ وأَوسعا
خليلي... ما نفعُ الأنامَ إن آلَ بيتُك غير صدري
وهَرِمتَ إن ارتويتَ من عمرٍ غير عُمري
تغدو في سربٍ كعصفورٍ مهاجر
أنا دونك وجعٌ،
مجروح الفؤاد، دامي المحاجِر..!
يا من في دروبي كلَّ الأنجم
سألوني مَنِ الحبُّ .. قلتُ مَريمي

كريم

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

الفصلُ الأول

تمشي في الشوارع الضيقة مستغربة!.. كيف يعيش هؤلاء الناس الَّذين يتسابقون على الزحام، يحاول بعضهم أن يزيح الآخر من طريقه ليستلم منه عنوة مكانه غير الثابت، يفرح مُنتشيًا بنصره المُزيف الزاهي من وجهة نظره، لكنه سُرعان ما يكتشف أنه لم ولن يحصل إلا على الفراغ.

تندهش من تلك الوجوه الكئيبة المُصرَّة على مواجهة الحياة رغم كل ما يعتريها من بؤس بقوة ولامُبالاة، تحاول جاهدة أن تفهم لماذا لا يقدمون على الانتحار الجماعي؟، ثم تبرر لهم هذا بخوفهم من المجهول وسؤال الله الذي يعجزهم بطبيعة الحال عن الرد.. خاصة إن كان حاملًا في سياقه حديثًا عن الصبر ووجوب أن يواجه المؤمن الابتلاء بالحمد والشكر، لا بالنقمة والجحود، تمامًا كما يحصلون على النعم من الله وهي كثيرة..، لا يجدون أنفسهم إلا وقد خبأوا ادعاءهم خجلًا وطلب البراءة من النار في بئر عميق لا قرار له، مُتحججين باليأس، وأنّه ما من سبيل آخر أمامهم إلا هذا القرار المُهلك.

تزداد حيرتُها إذ تجد نفس الوجوه تضحك من أعمق صماصيم القلب، تسأل نفسها: هل أنزل الله عليهم سكينته؟، أم أنهم سلَّموا الأمر له متوكّلين عليه فما من حل أو نجاة إلا في هذا، أو ربما قرروا أن يواجهوا الموت البطيء ساخرين منه ومن الحياة كلها!.

ومع ذلك لم تجد لهم عذرًا أو ترَ بُدًّا من أن يعيش الإنسان في مساحات أضيق من الأفق داخل نفسه وخارجها، وأرض الله واسعة، ولم تبرر لهم القناعة بهذه المربعات الإسمنتية التي يسمُّنها مجازًا بيوتًا، ومن وجهة نظرها ما هي إلا قبورٌ تحفلُ بهم وهم مازالوا على قيد الحياة.

ترغب في إراحة عقلها قليلًا من كل هذه الأمور التي ما اعتادت عليها وصدمت حين رأتها لكونها شيئًا غير مألوف لم تشهده قط، أُدميَ قلبُها لهم كثيرًا لأن تلك الحياة حتى لا تناسب الحيوانات فما بالها بالبشر!، غير أنها واصلت المسير فلا شيء بيديها يُمكن أن تفعله وتقدِّمه لهم سوى الأماني والدعوات الطيبة بأن يسخّر الله في حياتهم من يخلصهم من هذا العناء المُضني.

تتجهُ إلى سوق قريب.. وصلت إليه بعدما تتبعت إحدى البائعات الفلَّاحات التي تحمل ثمار التوت الطازج الذي اقتلع لتوِّه من فوق شجرة ريفية واضعة إيَّاه في سلة بيضاوية الشكل لنصف دائرة مجوَّفة، مصنوعة من الخزف فوق رأسها، مشت وراءها كما لو كانت مُخبرًا يراقبُ لصًا أو مُجرمًا، مُتحينًا فرصة للقبض عليه.

مُعجبة بها كثيرًا، تطرح على نفسها عدة تساؤلات أخرى: كيف تحمل هذا الكم الكبير الثقيل ماضية في طريقها دون توقف أو تعب؟.

من أين تحصل على كل هذا الصبر؟.

من أين تأتي بكل هذه القوة والتجلد؟.

والأهم من ذلك نفس السؤال الذي سألته قبل قليل حين رأت هؤلاء الناس المتناقضين.. كيف هي سعيدة هكذا، تمشي فرحة تُغنِّي؟، رغم أنها بلا شك تُصيبها حالة بائسة.. كيف تكون غير آبهة لها؟.

تدخل السوق.. تجد نفسها أمامَ حانوتٍ قديم ذي طابعٍ أثري يرجع تاريخه إلى القرون الوسطى. يخطر على بالها أن تأكل شَيئًا فهي تتضور جوعًا، لكن عينيها اللاتي وقعن على تمائم ومشغولات يدوية نسائية غريبة الشكل أجبرتها على الدخول في هذا المحل لتقتني منه قطعة تزين بها عنقها.

رحَّب بها كثيرًا العمُّ إدريس، قام من مكانه ماسحًا كُرسيًا خشبيًّا عتيقًا، متروكًا بقيمته في إحدى زوايا المكان.. حافظ عليه أجدادُه لسنوات وسنوات حتى ورثه عنهم.

ظل ينظفه كلَّ يوم عبر سنوات وسنوات خلت ليجعله في أبهى حُلَّة خاليًا من الأتربة والأوساخ. لهذا راح يعتذر إليها لكونها وجدته غير لامع براق، واعدًا إيَّاها أنه في خلال دقيقة واحدة سيعيده إلى سيرته الأولى، موضحًا أن هذا التقصير الذي شهدته يعود إلى كونه مريضًا في هذه الأيام، مُعزيًا ذلك إلى تقدمه في العُمر وظهور كل علامات الشيخوخة عليه وعلى قواه التي وهنت فأبطأت حركته، لهذا فإنه لم يعد في استطاعته القيام بكل مهامه على أكمل وجه كما كان من قبل.

كانت مبتسمة ومندهشة في آنٍ، إذ كيف وهو لا يعرفها أسهب شارحًا لها جزءًا من تفاصيل حياته، كون المكان غير مُرتَّب..، ولكنها فرحة على أية حالة بهذا الاهتمام والاحتفاء.

ربتت على كتفه المُتعب، قائلة له: لا عليك، حتمًا أنتَ ناجحٌ، صالحٌ مطمئنٌ في حياتك.

قال لها: عرفتكِ من الوهلة الأولى.. فور دخولك، كيف لم تتعرفي عليَّ؟.

دققت في ملامحه قليلًا.. تذكرته.. طارت فرحًا به، إذ أول لقاء لهما كان في وقت متأخر من الليل!، وكانت ملامحه السمراء الجميلة غير واضحة بعض الشيء بالنسبة لها نتيجة الظلام، لهذا لم تُحفَر كل تفاصيل ذلك المشهد الذي كان يجب أن تتعرف من خلالها عليه من الوهلة الأولى، بمنتهى السهولة واليُسر.

قامَ من فوره، أحضر لها قطعةَ حُليٍّ من صنع يديه على شكل نجمة سماوية ألوانها متداخلة، بريقُها أخَّاذ، رغم أنها من مواد طبيعية وليست فضائية خرافية نادرة، ابتسمت.. فرحَ العمُّ إدريس لأنه أدخل السرور على قلبها، ووعدته بلقاء آخر عمَّا قريب، شكرها.. رددت شكره بمثله وابتسمت مُجددًا فذهبت.

عصير الكتب
ALEXANDER SMSM
fb.com/Book.juice ©

الفصلُ الثَّاني

يجلسُ سهيلٌ أمامَ حاسبِهِ الشخصي في مكتبه بوكالة ناسا لعلوم الفضاء، مُكتئبًا حزينًا، ينتابهُ شعورٌ أن العالم بأكمله على الرغم من اتساعه وامتداده الذي يراه ويتأمله عبر شاشته الصغيرة التي توصله بالمجرَّات والنجوم والكواكب وكل عجيب وغريب ليس موجودًا على الأرض، إلا أنه يحسّ بضيق في النفس وغصة في الحلق تمنعه من مواصلة عمله دائمًا بفرحة، لكنه يتنقه جيدًا فهو متفوقٌ ببراعة ويُعَدُّ من أمهر باحثي العالم الذين جاءوا في تاريخ الوكالة.

الفقد والوجد والحيرة واللهفة والشوق والخوف تحيط به من كل اتجاه، لا تتبدل حالته تلك إلا إذا تواصل معها، فهي الوحيدة دون نساء الأرض القادرة على تغيير مشاعره في قلبه وحياته، تنزعُ منه كلَّ ما يؤلمه فور أن يراها ، ترسمُ البسمة على وجهه فيشدو بالضحكة ويلهو مع الأمل مُتنعمًا بالحياة.

إنها السيدة لوجين عالمة الفضاء الأجمل والأفضل حديث الدنيا وأهل العلم، يحبُّها كثيرًا لكنها لا ترى ذلك!، فحسنها الأخَّاذ ودلالها وشبابها الفتيّ صبغوا عليها لمحة من الغرور والكبر، فلا تشعر بهذا الشيء العظيم الذي يُكنّه لها، لكونها مُحاطة برجال كُثر من وجهة نظرها هم الأفضل، ومع ذلك تتناقض في تعاملها معه، حين يكون جالسًا يحدثها وهي في إحدى الرحلات المكوكية.. تشعرهُ أنه الوحيد المُقرَّب منها، فتغمره السعادة، رغم

أنه لا يمدها إلا بالمعلومات والدعم التكنولوجي فقط لا غير، وهي تتعامل معه من هذا المُنطلق، إلا أنه يظنها تتودد إليه فيزداد حبها في قلبه، ناسيًا أنها حين تعود من رحلتها إلى الأرض تعامله بجفاء وقسوة واستعلاء كأنها لا تعرفه.

في يوم من الأيام كان كالعيد عليهما إذ أنهيا مهمة اسكتشاف كوكب جديد، وكان التكريم في ذلك يخصُّه ويخصَّها، فهو من تلقى الإشارات الفضائية وترجمها إلى أرض الواقع لتصبح حقيقة ومكانًا دالًا يصلون إليه من خلاله.

ولكونها الرائدة الوحيدة التي تطوعت وقبلت ركوب سفينتها الفضائية مغامرة لاستكشاف هذا الكوكب، في حين امتنع الآخرون عن ذلك بزعمهم أنها مغامرة غير مأمونة العواقب. كانت ترد عليهم دائمًا بغرور قائلة لهم: أنا سأصبح الأشهر في تاريخ الإنسانية بجرأتي واندفاعي الذي ترونه سلبيًا وأراهُ عاملًا مهمًا في شخصية رجل الفضاء، لهذا يومًا ما قد امتلك جزءًا من الفضاء، أما أنتم ستبقون داخل خوفكم منسيين، ستذهبون دون ذكرى حقيقة أو اكتشاف عظيم، يأخذون كلامها على محمل السخرية.. فتسخر منهم وتضحك ويضحكون.

دعاهما إلى منصّة الحضور رئيس الوكالة لتبدأ مراسم التكريم. تحدّث كلٌّ منهما عن تجربته وشرح للجميع كيف أتمّ هذه المهمّة على هذا النحو. صفّق لهما الحضور وبدأوا في التقاط الصور التذكارية معهما وأجريا بعض اللقاءات الإعلامية ثم اختارا طاولة مستديرة جلسا إليها معًا، وقبل أن يذهب لإحضار

شرابٍ لها، قال مبتسمًا بخجل: إن فستانك الأنيق بكاد أن يسبّب لي جُنّة، فخافي عليه من جمالك.

ظل ينتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر ليصارحها بما يختلج صدره ويشتت تفكيره دائمًا، قام ورجع.. أحضر لها عصير المانجو الذي يفضله، ووردة حمراء من فصيل الأروكيد، نظرت إليه باستغراب، طالعته محملقة فيه كما لو كان قد ارتكب جُرمًا.

قال لها: ألم يعجبك العصير؟، أم لم تعجبك طريقة تقديمي للوردة؟.

قالت: اختيارك يدل على أنك لا تعلم عنِّي شيئًا، رغم أن لنا سنوات طوال نعمل معًا ونتشارك في أمور كثيرة!.

همَّ في استفزازها فقال: من فضلك وضحّي غايتك من ذلك القول؟.

أراد استفزازها أكثر فاسترسل في الحديث: تبدين في حالة يُرثى لها تجعلك لا تحسنين الاختيار.

عقَّبت مُستنفرة مما سمعت وقالت: ماذا تعني بالحالة الدائمة المُستقرّة على عدم انتقائي لأموري جيدًا؟، أهي حالة جماعية لأشيائي أم فردية؟، كما أنك تتدخل فيما لا يعنيك، وهذا لا أقبله مُطلقًا، كونك الأفضل في عملك وحصلت الآن على تكريم رفيع المستوى لا يتيح لك الدنوّ من مكانتي، كما لا تنسَ أنه لولا جرأتي وقبولي الخوض في هذا الأمر ما كان لبحثك أن يرى النور، وأنت تعلم جيدًا أن الجميع قالوا عنه خرافة من خرافاتك أيها الباحث!.

جاءَ أحد زملائها من العلماء إلى طاولتهما يستأذنها في رقصة معها، استجابت.. قامت من فورها بعد أن أشارت عليه إحضار كأسَ خمر، انزعج سهيلٌ كثيرًا من تصرفها، عادت إليه بعد ابتعادها خطوتين عن الطاولة هامسة في أذنه ضاحكة ساخرة منه: أعلم أنك تعلم أني أشرب الخمر بشراهة حتى السُّكر والانتشاء، وأعلم أنك تخاف عليَّ كثيرًا لأنك تحبني بجنون، كما أعلم أنك تريد أن أحدّ من كل هذه التصرفات وأولها: تناقضي معك، وثانيها: الامتناع عن الخمر، وثالثها: أن أحبك وأعتني بك كما تفعل؛ لكن يا عزيزي أنت طيبٌ حدَّ الثمالة، وعبقريٌّ بطريقة مُخيفة، وأنا لا أريد رجلًا يكسر غروري وكبريائي برفقه وحسن معاملته معي.. فتتغير شخصيتي التي أحب، ولا أريد رجلًا يكون أكثر منّي علمًا وعبقرية.. ويشعرني بالغباء يومًا وأشعره بقيمته والتي حتمًا بلحظة ضعف ما سيستخدمها ضدي.

ثم اعتدلت وراحت متوجهة إلى حلقة الرقص مع الرجل الذي استدعاها وقدَّم لها الكأس، لكنها نظرت إليه بضحكة لاهية وقالت له بصوت عالٍ، ما سمعها جرَّاء الصخب إلا أنه فهم مرادها: أنا أحب الحديث معك ولا أستطيع وأنا في الفضاء أن أتحدث مع غيرك، لا أعرف لماذا!.. ربما أنتَ سرٌ عظيمٌ في حياتي.. ربما لولا وجودك ما نجحت في عملي، لكن مع هذا لا أستطيع أن أكون لك، للأسباب التي ذكرتها، لكن أرجوك لا تتوقف عن حُبِّي!.

قام من فوره غاضبًا حزينًا، يبكي، ضاعت منه فرحة تكريمه وإنجازه، ضاع منه الأمل الذي لطالما استعدّ له على أكمل وجه مرُتبًا لقدومه، مشى في

الطرقات لا يشعر بشيء.. الجو العاصف.. المطر الذي يجلده.. الألم الذي يتلحفه، لم تأبه لوجين لكل ذلك، حتى لم تشعر بخروجه ولم تسأل عنه، وهو حتى اللحظة يخاف عليها، مازال يرى أنها في حاجة إليه، وتصرفها هذا هذيان ليس أكثر، وأنها يومًا ما ستقدره حق قدره، على الرغم مما تسببت فيه من إيذاء له.. يحبها.

عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

الفصلُ الثَّالث

ترانس.. الإسم الأكثر شهرة في قومه، شخصٌ غاضبٌ ناقمٌ على كل شيء في الكون، طويل القامة، عريض المنكبين، مفتول العضلات، أسمر اللون، أملس البشرة، ذو شعر طويل كثيف ناعم أسود اللون، يصنع منه جديلة يرميها على ظهره، يحمل في قلبه حقدًا على العالم كله، لهذا قرر أن ينشر الفوضى والظلم والقسوة في كل ركن على الأرض، مُستخدمًا قدراته الشريرة وحبه للتطرف.

أعدَّ خطتين للأمر.. الأولى: في حالة حصوله على ما يريد سيعود عن غيّه، أمَّا لو حصَّل العكس وظل يعاني ويفتش دون الوصول إلى مُراده، فإنه لن يتوقف أو يعود!، إلا وقد دمَّر الأرض كلها وتلك هي الخطة الثانية.

يعاونه في ذلك ثلاثة.. بوجلو وماجلو: أخوان توأمان، قصيرا القامة، أصلعان، بهم بدانة لسمنة لكثرة إفراطهما في الطعام، لكنهما قويَّين رغم أن بهما مواطن ضعف كثيرة، ليسا أقل شرًا من من سيدهما ترانس، لهذا قرر الاعتماد عليهما لتمتعهما بضمير غائب وقلب ميّت.

الثالثة: نيفرتي.. المرأة الأكثر جاذبية في حياة ترانس، هيفاء القوام، بيضاء اللون كثلوج القطبين المُتجمّدين، ذات عينين زرقاوين لا نجلاء ولا ضيقة، لها رموش طويلة لكنها لا تؤثر على حسنها بل تزيدها فتنة وسحرًا، شعرها حريرٌ كثيف كستنائي لا تدعه يطير مع النسيم العليل أبدًا، إنما تجعل قَصته كما يفعل ترانس بشعره دائمًا، لكن أنوثتها الطاغية بلا شك تجعلها أكثر جمالًا من ترانس

رغم وسامته، فتبدو وهيأتها كفرس جامح يخوض المعركة تلو الأخرى دون خوف أو تعب، مخالفة بذلك طبيعتها وفطرتها النقية، فهي في الأصل ليست شريرة بطبعها، أرغمت على هذا الطريق لحبها العميق العظيم لترانس الذي يتغلغل فيها حتى النخاع، على الرغم من أنه لا يحبها فهو لا يعرف معنى الحب في الأساس، لكنه يستخدمها لاعبًا على نقطة ضغطها هذه في كل أفعاله الشيطانية، حتى مع مرور الوقت، أصبحت كما لو كانت أسيرة بين يديه لا تقوى على تغيير مصيرها المربوط بمصيره حتمًا.

يجتمع بهم قرب ساحة إطلاق الصواريخ التابعة لوكالة ناسا، في جنح الظلام كي لا يشعر بهم أحد وهم يضعون تفاصيل الخطط التي وضعوها ليسيروا عليها في مقبل الأيام، في حالة إصابة الهدف، أو عند عجزهم والتي ستكون آخر احتمال، راسمًا لهم ما يُمكن فعله.

صاحب عينان سوداوان إلا أنهما تتحولان إلى حمراوين حين يريد القضاء على أحد أعدائه، كانوا في حديقه هذه الساحة، بها فضاء من الخضرة مُطلَّة على كل الاتجاهات مكشوفة للجميع، خاصة جنود الحراسة، لم يعرفوا أنه قد تم اكتشافهم وتحديد أماكنهم بعد اختراقهم حدود الوكالة.

حاوطهم خمسة جنود مدججين بالسلاح الآلي، يصوبونه في اتجاههم لإخافتهم، طالبين منهم الاستسلام وهم واضعين أيديهم وراء ظهورهم منبطحين على الأرض. وضعوا أيديهم لكنهم لم ينبطحوا، اقترب منهم ضابطُ هذه المجموعة طالبًا تنفيذ الأوامر وإلا كان له تصرفٌ آخر. لم يفعلوا.. همَّ في إطلاق الرصاص عليهم، حرَّك ترانس رأسه مشيرًا على نيفرتي أن تأسر الضابط

بجمالها.. اقتربت منه وماءت كقطة شقيَّة تلهو مع قط فتيّ مراودة إيّاه عن نفسه، سقط السلاح من يديه مُفتتنا بها لا يقوى على الحراك كأنه صار صنمًا، أبعدها ترانس من أمامه ليقضي عليه هو، فكّ سحرَ نيفرتي، فرآهُ الضابط.

قال له ترانس قبل أن يقتله: انظر إليّ جيدًا وامسك سلاحك وقاتلني فلا أحب القضاء على أحد غدرًا وهو في موقف الضعف.

أخذ الضابط كلام ترانس على محمل السخرية، وغرَّته قوته الظاهرة لا يعرف أن لترانس قوة خفية، فقال ساخرًا: هيَّا استسلم أنت ومن معك من شذاذ الآفاق قبل أن تنفذ طاقة صبري عليكم، تمادى ولم يتراجع، لم يجد ترانس أمامه من وسيلة غير قتله دون قتال.

تحوّلت عيناه إلى لون الشر والذي ينبئ بكارثة ستقع، بعدما احمرّت وقد بدا على الضابط الخوف بعد ثقة وغرور في قوته، جرى ماء بوله رعبًا، ضحك عليه الجنود وأعوان ترانس، ظل يستجديه وترانس لا يأبه.. أخرج من عينيه صاعقة كهرومغناطيسية اخترقت عين الضابط فمات من فوره. هرب الجنود مهرولين يخشون على أنفسهم مصير ضابطهم المفاجئ، أمر ترانس بوجلو وماجلو ونيفرتي بالقضاء عليهم حتى لا يكشف سرهم على أيديهم، فيفعلون ذلك كلٌّ بسلاحه، نيفرتي.. بقبلة الموت التي يسبقها نظرات سارة وإيماءة موحية إلى ممارسة فعل غير أخلاقي لجذب الضحية، أما ماجلو وبوجلو.. بالقبضة القاضية التي تسبقها الأشعة تحت الحمراء، تفتتت الضحية أثناء وقوعها بين قبضتهما وهي معلقة من رقبتها مرفوعة كما لو أنها همّتَ في شنق نفسها، وهما متحولان إلى عملاقين كي ينعما ببعض الطول فيتمكنا من تنفيذ المهمة بدقة عالية.

الفصلُ الرَّابع

تعبت من السير منفردة وهي في الحياة وحدها، من كثرة تلوّن الناس واجتراء بعضهم على بعض وضياع الحقوق بينهم، ولولا رؤيتها بعض المشاهد الإنسانية المُحيِّرة ولقاء أشخاصٍ طيبي القلب أنقياء السجية لتمنّت مفارقة تلك الحياة فورًا.

تحلَّت بالصبر وراحت تتنقل بين أكثر من مدينة في مصر بعدما التقت العمَّ إدريس، لكن مقابلة أهلها المثقلين بالمشكلات جعلها تشرع في تغيير وجهتها لشعورها بالعجز وعدم المقدرة على مساعدتهم.

طارت إلى لبنان.. نزلت بيروت، طافت بالجبال والوديان والحقول، لمست جمال هذا البلد وأهله والطبيعة الخلَّابة، لكنها شعرت بالملل.. فكلٌ يعيش في نفسه ولنفسه!، وقد سمعت وهي في القاهرة مثلًا شعبيًّا يردده السواد الأعظم هُناك "الجنة من غير ناس ما تنداس"، لهذا قررت مفارقتها أيضًا إلى جهة أخرى لعلها تجد غايتها.

مرَّت بدول الخليج العربي، لم ترتح من الوهلة الأولى!، ما أقامت لبضع دقائق مُتنقلة من بلد إلى آخر حتى كادت أن تصاب بالجنون. وجدت أن من يقطن فيها قد خلع عباءة عروبتهم ودينهم، الجهل مُنتشرٌ، والتقدم والحضارة فيهم مُجرّد قشرة لو زارها زلزالٌ فكريٌّ لسقطت مُعريَّة إياهم أمام الجميع.

سمعت عن الغرب وحضارته الفتيّة، نزلت أمريكا في مقاطعة تُسمّى هاريس الكبرى، حيث تقع وكالة ناسا لعلوم الفضاء، رغبت من خلالها معرفة كيف يكتشف أهل الأرض الأكوان، وماذا تمثل لهم وما هي النظرة الموضوعية لها، لعلها تجد أيضًا منية قلبها المكان الأبدي الذي تبحث عنه لتعيش فيه.

قابلت الكثير من الظرفاء في تلك الأرض والكثير من الجبناء، البعض تركها دون أن يتعرض لها، والآخر حاول مساومتها عن نفسها نظرًا لجمالها الأخَّاذ، لكن صمتها الذي انتهجته كما لو كانت صائمة عن الكلام أنجاها من الوقوع في مكائدهم، مع ذلك ورغم إعجابها بهذا العالم المتقدم إلا أن أحدًا منهم لم يساعدها، لا من هذا الفريق ولا ذاك.

لاح في سماء نفسها سؤال جديد.. ما بهم هؤلاء البشر لا يساعد بعضهم بعضًا؟، هل الكل أصبح ماديًّا لدرجة أنه لم يعد يهتم بالآخر وإن كان يقع في كارثة يحتاج إليه؟، وجدت أيضًا أمرًا غريبًا، فعلى الرغم من تلك الطفرة العلمية والثقافية التي جعلتهم يقفزون حتى سادوا الأمم وأصبحوا من الأوائل في قائمة العالم، غير أن أواصرهم الاجتماعية ممزقة تخطت مرحلة الفتور بكثير، فعلاقة المواطنين والأقارب أشبه بعلاقة الماء مع النار.

أمطرت السماء بغزارة لم يكن على جسدها ملابسًا تحميها من هذا الصقيع، ما قدّم لها أحد المساعدة رغم أنها كانت جالسة على مقعد خشبي مبتل في مكان عام، بل ولم يتطوع أي مخلوق عارضًا العناية بها، كما أنها لم تتنازل وتطلبها بنفسها فكرامتها وعفّة نفسها نهتها عن ذلك، رغم أنها أوشكت على الدخول في مرحلة

المرض نتيجة هذا الجو الخطير دون أن تشعر فلم يغزوها من قبل، ولم تتعرف بعد على ماهيتها الجديدة.

فقط كل ما تمنته ثيابًا طويلة جديدة غير تلك القصيرة التي عليها وقد اتسخت كثيرًا، أو معطفًا يستر مفاتنها كما فعل معها العم إدريس عندما كانت في مصر، شارحًا لها أن امرأة مثلها شديدة الجاذبية والسحر الأنثوي لا يجب أن تكشف أجزاءً من جسدها على نحو يُغري أهل الأرض الذين دائمًا يفكرون في المرأة بشهوة وهي ليست مثل أي أنثى، شارحًا لها أنها كدرّة نادرة بل أثمن.

انتظرت لساعات طويلة، وانتظرت وانتظرت لا تعرف ما الذي يجب عليها فعله حتّى نامت دون أن يقترب منها أحد، تاركين إيَّاها على أيّ حالة، فقط يرمقونها ساخرين منها ظنّوا أنها تستمتع بالحرية والمطر.

حلمت بالعم إدريس، استيقظت من نومها على صورته وهو يبتسم لها، جلست في حيرة لا تعرف إلى أين يأخذها المسير، فكّرت في استدعائه عن طريق غصن الزيتون الذي جعلته سحريًا!، لأنه دالٌ على السلام انتقته دون غيره من الأشياء الأرضية، وجعلت لحامله خاصية أن يستدعيها في أي لحظة إن كان يريد مساعدة جدّية منها، وقد أهدته للعم إدريس احترامًا له وتقديرًا قبل أن تفارقه حبًا لها ولكرمه الذي استقبلها به.

تذكّرت أنها جعلت مفعول الغصن الأخضر النضر أحاديًّا، أي من جانب العم إدريس فحسب، وحده الذي يتمكن من طلبها أمّا هي فلا. لم تبال بكلّ ما اعتراها مُجرّد اشتياقها لمصر وأهلها ونفورها من أمريكا وأرضها، فكّرت في الذهاب لكنها تراجعت.

مرَّ عليها نفرٌ من الرجال منزوعي الضمير مفرطي الشهوة، لم تخف منهم فهي قادرة على إبادتهم بما أوتيت من قدرات، لكن سجيتها الطيبة العظيمة منعتها من استخدام أدوات الشر، ظلّوا يراودونها عن نفسها.. يفعلون أمامها بعض القبائح عبر إيحاءات جنسية تخلو من أي خلق أو حياء!.

لم تبال.. حتى بدأ أحدهم في الاقتراب منها.. خالعًا بنطاله، تملأ عينيه نظرات مُفرطة من الضياع والحاجة إلى قضاء وطره منها، ناظرًا إلى أصدقائه.. مبتسمًا ابتسامة توعّدٍ، في إشارة منه لهم، بأنه من سيبدأ أولًا في الانقضاض عليها لمضاجعتها.

لم تكن تتخيل ما ينوون فعله، ولا تعرف لماذا يتصرفون هكذا معها، قائلة لنفسها بكل ثقة: مالي ومالهم، هم أحرارٌ، هذا بلد ديمقراطي كما عرفت عنه.

وما إن همَّ في ملامسة جسدها، ممهدًا لرغبته الحيوانية، انتفضت من مكانها مهرولة صارخة، وهم يركضون وراءها.

في نفس اللحظة، كان العم إدريس مشتاقًا إليها كثيرًا، شعر بدنوّ أجله وما من أحد يسأل عنه وهو دون زوجة أو أولاد، شاعرًا تجاهها أنها الإبنة التي لم يُنجِب من الزوجة التي لم يُرزق.

أمسك الغصنَ وهمَّ في استدعائها، تذكَر أنه لا يريد مساعدتها إنما رؤيتها فحسب، لهذا فكر في إعادة الغصن إلى مكانه الدفين في دكّانه فهذا إخلالٌ بشروط الاستخدام، بدأت تتقاطر من الغصن قبل أن يعيده حبات ذات رائحة زكية، استغرب!، حدّث نفسه مُندهشًا: مال هذا الغصن كأنه يبكي؟.

أخذ يتحسس هذه الحبّات بين سبابته ووسطاه، فتبخّرت وتحولت إلى كلام مكتوب في الهواء على شكل قلب أبيض مفرّغ أطرافه بيضاء، قرأ من فوره ولم يخف هذا الذي يراه فقلبه جريء: السيدة مايا التي أهدتك الغصن في خطر.. ويجب عليك أن تطلبها لتحضر إليك، أو إن شئت الذهاب إليها، عليك أن تأكل قطعة صغيرة من الغصن بحجم قطرة من القطرات المُتبخّرات، ثم قُل بصوت مُرتفع ثلاث مرات: مايا.. مايا.. مايا، أرجوك افعل شيئًا لأجلها وإلا هلكنا جميعًا، فتحرّك من فوره وفعل.

وجدوه فجأة أمامهم يحول بينهم وبينها، توقفوا عن ملاحقتها خائفين، رجلٌ ذو لحيةٍ بيضاء كثيفة، يرتدي جلبابًا مصريًا عربيًّا مُرقَّعًا، يمسك عصاته التي يتكئ عليها، أصابهم الرعب، كل واحد منهم يسأل نفسه: من أين هبط علينا هذا الكائن الغريب، أهو شبحٌ لا يحب الظلم ظهر للانتقام منا وقتلنا، أم ملاكٌ جاء ليخلصها من بين أيدينا، تراجعوا عن رغبتهم، أدار وجهه عنهم، نظر إلى مايا ليطمئن عليها.. ولَّوا هاربين يلوذون بالفرار لا يلتفتون للوراء حفاظًا على أرواحهم لشعورهم أنهم مُهددين بفقدانها والهلاك. ظلّ يضحك لمعرفته بنفسه وأنه أضعف خلق الله على الأرض، ضحكت مايا من هذا المشهد العجيب، ارتمت في صدر العم إدريس، شعرت بالأمان وهو يربّت على كتفها، واصَلا السخرية والضحك بهيسترية من هؤلاء الجبناء البلهاء.

الفصلُ الخَامس

انتشرت حالات من الهلع والذعر في جميع أنحاء المدينة بسبب تلك الوفيات المُبكية، خاصة أنه لم يتم التعرف على هوية الجاني من جانب، ومن آخر جرت العديد من التساؤلات على ألسنة الناس وعلى رأسهم علماء الوكالة.. منهم من رأى أن هذا الحادث عرضيًا ووارد حدوثه لرجال الأمن والحماية، والبعض فسَّرَه على أنه كلامٌ لن يصدقه ذوي القتلى كما أنه غير قابل لإقناع العقول ولا يقبله منطق فجميعهم قضى نحبه بطرق مختلفة، وأنه كان يمكن التسليم بهذا الأمر في حالة واحدة فقط هي لو أن الجميع اعتراهُم مصيرًا مُشابهًا، لكن الشنق والحرق والصاعقة أساليب جعلت من الأمر أكثر تعقيدًا وغموضًا.

هُناك من ذهب إلى أن تعرض المغدورين إلى تلك النهاية البشعة ربما يكون بسبب سقوط نيزك أو شهاب من السماء، إلا أن السؤال الذي أعاد نفسه مُجددًا وانبثقت إجابته من هذا الاستنتاج لتدحضه.. إذا كان الأمر كذلك فأين الإشارت التي على أرض المكان الذي شهد الحادث؟، كما أنهم استبعدوا وجود كائنات غريبة أيضًا.

مرَّت أيامٌ على الواقعة وبدأوا جميعًا في نسيان الأمر!.في صباح يوم جديد كان نهارهُ حالكٌ ليس على محيط المدينة الفضائية فحسب إنما على أمريكا والعالم كله، إذ وجدوا هذه المرة عند مداخل ومخارج واشنطن جميع أطقم الحراسة وأقسام الشرطة مُعلّقين مشنوقين، صورتهم أشبه في ذلك بمذابح الإبادة الجماعية

في عصر الظلمات، تأكل من رأسهم الطير، ألوان أجساد الرجال زرقاء والنساء حمراء، كان بعضهم مازال على قيد الحياة إلا أنه فارقها مُجرّد أن أنزلوهم من على الأسلاك الكهربائية التي كانوا معلقين عليها.

ميتتهم هذه المرة أكثر غرابة، فلم ولن يصدق الرأي العام أية حكاية منسوجة عن طريق خيال المسؤولين، فالرعب والخوف يدفعهم للمطالبة في الحصول على الحقيقة ليس أكثر أما ما دون ذلك فهو كذب وهراء. لهذا فإنه ما من أحد أصبح قادرًا على إغلاق ملف هذا الحادث بعد الآن ونسْبه للمجهول، وحجتهم قوية جدًا..إذ ليس مُبررًا أن ينتحر الجميع فجأة هكذا دفعة واحدة، وكأنهم يلعبون دورًا في عرض مسرحي درامي، طُلب منهم فيه أن يكونوا كقطع الثياب على "أحبال غسيل".

لم يستطع المسؤولون التوصل لشيء، عجزوا عن فك لغز هذه الجريمة وكشفها، يعزون ذلك كونه لم يحدث قط في تاريخ البشرية.

أُجري لقاءٌ تلفزيونيٌ صحفيٌ تناقلته كل وسائل الإعلام العالمية، كان حاضرًا فيه الرئيس الأمريكي الذي أراد طمأنة الشعب واعدًا إياهم أنه يتابع تلك الكارثة شخصيًا، كان بين الحضور أيضًا البروفيسور سول.. أستاذ علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا.

وجّهت العديد من الاتهامات إلى عمدة واشنطن بل إن بعضها طال الرئيس الأمريكي، ودخل الأمر في نفق مظلم حين تكلم سيناتور في الكونجرس الأمريكي، موجهًا اللوم إلى العمدة والرئيس، مُطالبًا إياهما بترك سدة الحكم

فورًا إن لم يجدا حلًا عاجلًا وتفسيرًا منطقيًا لما وقع، يصحب ذلك وضع ضمانات شديدة وتشديد القبضة الأمنية في البلاد خشية وقوع الأمر مُجددًا.

تحوّل المؤتمر الصحفي إلى حلقة من المُلاسنات بين السيناتور ورجال الحزب الحاكم الذي منه الرئيس، فالسيناتور من حزب آخر. علت بعض الأصوات المطالبة بتنجب الخلافات السياسية الآن والعمل في إطار جماعي كيد واحدة ضدّ ما لحق بالبلاد والعباد من شر.

لم يجد البروفيسور سول بُدًا من الاستمرار في صمته ورأى وجوب تدخله ليفض هذا الهراء الذي يحدث أمام عينيه ويضع حدًا وحلًا لما وقع.

قام من فوره صائحًا فيهم بصوت قويّ على الرغم من تقدمه في العمر، فشعره مُشتعلٌ من الشيبة وحركته بطيئة جدًا من الوهن، طُلب منه الصعود إلى المنصة، فرفض مُتعللًا بعدم استطاعته، أحضروا له في مكانه ميكروفونًا لاسلكيًا ليتحدث فيه مُسترسلًا بكلامٍ مُرتبٍ مُنظم.

أولًا: من فضلكم نحُّوا الخلافات جانبًا.

ثانيًا: ما وقع خطيرٌ جدًا، ومن خلال عملي وقراءتي المُتعمقة في تاريخ الشعوب وظواهرهم الغريبة، أستطيع أن أحكم على هذا الشيء بأنه غير طبيعي على الإطلاق ومقلق.

ثالثًا: علماء النفس ما استطاعوا تقييم هذا الجُرم الغريب من نوعه، تقاريرهم الأولية التي بين يديَّ تقول أنّ الفاعل لم تُشخّص حالته من قبل!.

رابعًا: نحن أمام حالة عجز جماعية وفشل، ولا يجب إلقاء التهم والتقصير والتكهنات جزافًا فيما بيننا، اهدأوا لكم العذر وكذلك يجب فهم حاجة الناس إلى الأمن والأمان وما وقع لا ينبئ بذلك.

أخيرًا: ليسمح لي السيد رئيس الولايات المُتحدة الأمريكية المُبجّل في قيادة فريق من المُتخصصين لإدارة الأزمة، أعضاؤه من الأكفّاء، وكلّي أمل أننا سنحصّل هوية الجاني واقفين على كل المُلابسات، وشكرًا.

الفصلُ السَّادس

ذهبت لوجين إلى العاصمة الفرنسية باريس للاستجمام بعدما تمكّنت من أخذ إجازة لعدّة أيام من الوكالة، أراد ترانس أن تقع في حبه كي يستخدمها في خططه التي رسم لها فيها دورًا مهمًا، فهي ذائعة الصيت، والفضاء والأرض يعرفانها. ذهب وراءها ليبدأ مهمته معها. ذات صباح كانت تحتسي فيه فنجان قهوة فرنسية في مقهى يقع أمام برج إيفل، جالسة مستمتعة بجمال المدينة السّاحر، من فنّ العمارة والبناء الرّاقي وكلاسيكيّة البشر، الطيور التي تحلّق في كلّ ركن أرضًا وجوًا ولا يقترب منها أحد فيؤذيها، تراها تهنأ وتغرّد فرحة مرحة.

جاء بكرسيّ خشبيّ صغير، وأدوات رسم غالية الثمن وجلس أمامها دون أن تنتبه لما يفعل. ظلّ مدّة يرسمها قاربت السّاعة، وما إن فرغت من تأمّلها وهمّت بالانصراف لشعورها بالملل، حتى قام متوجهًا إليها معترضًا طريقها، قدّم لها اللوحة، فاندهشت كثيرًا، لم تسأله متى رسمتني..؟ وأين..؟ لأنها رأته ولفت انتباهها جماله الأخّاذ، لكنّها سألته: كيف تمكنت من إتقان رسم الوجه بهذه الدقّة المتناهية..؟ ثم شهقت بدهشة: يا الله..! كأنها أنا تمامًا، أنت خطير.. أنت رسّام ماهر وبارع حدّ الغرابة..!

انحنى لها مُعربًا عن سروره وتقديره لهذا الإطراء والمديح، لم ينطق بحرف، كل ما فعله أن أومأ لها، نظر في عينيها وغرق في مَداهُما لدقيقة أو تزيد، سحرها بفتنته ووسامته، وضع في يديها اللوحة ومضى غائبًا عن ناظريها.

شعرت وكأنها غابت عن الوعي لدقائق، لم تجده أمامها، كادت أن تقنع نفسها بأنه شبحٌ أو وهم، لولا تلك الصورة طبق الأصل عنها، التفتت يمنة ويسرة تبحث عنه بعدما تأكدت من حقيقة ما جرى لكنها لم تقع على أثر يدلّها عليه، حدّقت في توقيعه على الرسمة فوجدت اسمه مدونًا "ليو"، عادت إلى المقهى تسأل النادل عن الرسام ليو، فأرشدها إلى كبير هواة الرسم في فرنسا علّه يساعدها، اتجهت إليه بلهفة لمعرفة هويّة هذا الغريب ونفسها تصارعها وقد وقعت في حبه.

لم يتمكن الأخير من مساعدتها وقال لها: ربما يكون من العابرين، عليكِ أن تنسي أمره فالفنانون مزاجيون هكذا.

سألته: كيف ذلك..؟ من فضلك أوضح لي الأمر يا كبير الهواة.

ابتسم وأجاب: بمعنى أنه رآك فأعجبتيه للحظة، رسمكِ ثم انفصل عنك باحثًا عن مصدر إلهامٍ آخر.

لم تتمكن من تصديق تلك الفكرة وأنها لن ترى ليو مجددًا، وهي ليست من النوع الذي يستسلم بسهولة ولم تفقد الأمل في لقاءٍ آخر يجمعهما.

في صباح اليوم التالي، توجهت إلى مدينة "ليون" وأخذت تفتّش عن كل شيءٍ يمكن أن يذكّرها به حتى الأسماء. أرادت أن ترسم في محيطها عالمًا يسيطر فيه على كل شيء. حاولت أن تربط الأمل بالعمل، فالفتاة المتمرّدة لا تحبّ الاستسلام للعوالم الفرضيّة إنما تخلق عوالم افتراضية أخرى تفصّلها كما يحلو لها وتعيش فيها. عوالم تمدّ لها خيطًا تجتاز به حتميّة الواقع لتمشي عليه غير

مبالية بالسقوط فيما قد يعيدها ألف سنة للوراء إلى نقطة الصفر، فتتمسك به وإن كان احتمالًا ضعيفًا واهنًا لأنه قد يساعدها على الاستمرار.

جلست قرب بحيرة صغيرة يمرح فيها بطٌّ أبيض أنيق يستحمّ ويسبح، يتمايل في سباحته على سطح الماء بطريقة مضحكة يحاول من خلالها خداعها وغيرها من البشر الذين يقصدون هذا المكان لمشاهدته خصيصًا على الرغم من تمتّع تلك البقعة بالكثير من المشاهد الطبيعية زاهية الألوان وجاذبة الأذهان.

ودّت لو تلعب مع البطّ وتشاركه مشيته المتبخترة، ففعلت ولم تبالِ بمن كان حاضرًا في البحيرة في تلك اللحظة فصاح البطّ فيها غاضبًا يطلب منها الكفّ عن ذلك، إلا أنها تجاهلته وواصلت استفزازها، فراحت كبيرتهم تأمرهم بالانسحاب إلى جزءٍ آخر من البحيرة لا يصل إليه أحدٌ من أمثالها المزعجين الذين يكثرون في ذلك المكان.

غمرتها نشوة الانتصار، ثم اعتدلت في مجلسها ومشيتها عائدة إلى طبيعتها الأولى، غير أن السيف سبق العذل ولم تفلح في إعادتهم وإبقائهم لتسليتها. أحسّت بوحدة شديدة، اتكأت تحت شجرة خوخ كبيرة تحتضن نفسها، تلامس كتفيها بكفّيها، كان يراقبها عن كثب، شعر بأن اللحظة أصبحت مواتية للتدخّل في حياتها مجدّدًا، كان قد رسم لها عدّة لوحات وهي تلعب مع البطّ.. تقلّده في مشيته.. تضحك.. تحتضن نفسها.. غفت غفوة صغيرة، أفاقت منها لتجده بجانبها، طارت فرحًا وأخذت تتهادى عليه. ظنّت أنه بقربها ومنّت نفسها بكسب ودّه وقلبه، إلا أن ذلك لم يتمّ.

كرّر الأمر على عدّة أيام، يفعل معها الشيء نفسه في كلّ مكانٍ تزوره، تارةً بيد طفلٍ صغيرٍ بمجرد أن تشكره وتسأله عن المرسل يختفي من أمامها كأنه السّراب، أو يعبث بالرياح فتحمل إلى يديها الصور كريشة توسّدت راحتيها.

كادت أن تصيبها جنّة مما يحدث، فلم تكن قد اقتربت منه أو تعثر على أثر له، ولا يدعها وشأنها من جهة أخرى. أخذت نفسها تتعثر أكثر، تحوّل الأمر إلى آخر أكثر تعقيدًا، ولجأت إلى الكنائس تتردّد عليها تُصلّي إلى ربّها علّه يساعدها وينتشلها من تلك الحالة التي لا يُرثى لها. لم يتغيّر عليها شيء لعدّة أيام حتى أصبحت قاب قوسين أو أدنى من التفكير جدّيًا في الانتحار.

وفي مساء يومٍ كان في نظرها أكثر ظلمة وكآبة، رغم أن القمر في سمائه بازغًا، والجو بوجه عامٍ يبعث على الفأل، إلا أن شعورها بالوحشة والوحدة جعلاها تخرج من الفندق الذي تقيم فيه بعد يوم طويل لم تزر خلال نهاره أيّ مكان، متخذة القرار الأخير في حياتها على الرغم من مواجهتها الدائمة للصعاب والأخطار خلال رحلاتها الفضائية وشغفها الشديد بالمغامرات، لكنّ ما تعرضت له لم يكن أمرًا سهلًا. خطرت ببالها خطة بعد طول انتظار وحزن استنفذا كلّ طاقتها على الصبر، فتوجهّت من فورها إلى جسرٍ يقع في غابةٍ قريبة يطلّ على نهرٍ تياره شديد وقاعه عميق، رغبة منها بالتخلص من روحها فورًا والالتحاق بالعالم الآخر ليريحها من هذا العناء. وصلت إلى الحالة التي أراد لها أن تكون عليها، شتات، يأس، ضياع، ورغبة في الخلاص.

الفصلُ السَّابع

ركضت ليلى نحو أبيها سهيل لا تسعُها الفرحة، تغمرها مشاعر مختلطة كلّها إيجابية، شعرت أخيرًا بعد طول سنين أنه جاء لينتشلها من حضن رجلٍ غريبٍ هو زوج أمّها، الذي لم تشعر يومًا أنه يعاملها معاملة حسنة حتى والدتها يعاملها بقسوة وجفاء. كثيرًا ما كان يضربها أمامها رغم صغر سنّها، فلم تبلغ الثامنة بعد وكانت تعرف أنّ أمها تتعرّض لكلّ هذا الإيذاء نيابة عنها وتتحمّل من أجلها هذا الرجل الغليظ معدوم الضمير والشعور لأنها لم تكن تريدُ لها حياة سيّئة مشتّتة، وأن تكبر دون أبٍ يحميها حتى لو كان مزيّفًا.

اعتراها البكاء وأول ما نطقت به بعد أن ضمّها إلى صدره ضمّة كبيرة قوية، أجلسها إلى جانبه على الطاولة ليتناولا الإفطار في حديقة بيت زوج أمها الذي كان مسافرًا، ولولا ذلك لما تمكّن سهيل من زيارتها، تلك اللحظة التي انتظرها بشغف كبير منذ أزمانٍ وأزمان..!

"اشتقت إليك كثيرًا يا بابا". لم يتمكن من الرّد عليها، لم يتمالك نفسه، أغرقت الدموع ملامح وجهه المتعب، وعينيه الجميلتين علاهما الحزن. ضمّها إليه مجدّدًا، واضعًا يده المرتعشة على شعرها الحريري الأصفر الطويل الذي يعانقُ خصرها، ربّتَ على ظهرها، أجهش بالبكاء، فلم يراوده ذلك الشعور الأبوي منذ زمن بعيد أيام ولادتها حيث أنّها لم تلقَ غير القسوة والفزع في كلّ شيء أحاط بها.

انهمرت بعض قطرات دمعه على صدره، كان مسرورًا وحزينًا في نفس الوقت فما أحوجه لمثل هذا الدفء وإن كان مغلّفًا بالحزن. أبعدها عن صدره برفق، أخذ يمسح دموعها المنهمرة بيديه بلطف وحنان محاولًا احتواءها، ثم قال لها مداعبًا: هل ينبغي أن ترى عين صغيرتي كل هذا الحزن وهي بين يديّ، تراني وأراها..؟!

قالت ليلى بصوت متقطّع: وأين أنت..؟ كثيرًا ما كنت أشتاق إليك ولا أجدك، كما أنّ بكائي هذا لأني أحتاجك أكثر مما تتخيل ولا أريدك أن تعود مهما حدث. ابتسم أبوها فردّها إلى صدره مجدّدًا، قالت له: بابا، حتى الآن لا أعرف لماذا أنت وأمي مفترقان..؟ هل لك أن توضح لي ذلك؟

أجلسها إلى جانبه وراح يروي لها ما تريد برحابة بعدما رأى في نفسه أنّه حقٌّ لها وواجب عليه أن تعرف الأمر وأخذ يحدّث نفسه: قُلْ لها فربّما لن تراها بعد اليوم، أو بعدما تعلم أنك لم تهملها ستبقى مخلّدًا بداخلها كذكرى جميلة...

وبدأ قوله: ابنتي، كانت قصّة زواجنا أمرًا طبيعيًّا عند الجميع، الأقارب، الأصدقاء في الجامعة وخارجها، فامتدّت طوال أربع سنواتٍ فترة زمالتنا في الكليّة وما قبل الارتباط، والكلّ يشيد بقصتنا ويتحاكى فيها كأعظم قصّة حبٍّ عرفوها على الإطلاق.

قاطعته قائلة: وهل حقًا كان كلّ منكما يحبّ الآخر يا أبي..؟

أجابها: بالطبع..! كانت أمك جذابة جدًا، شعرتُ نحوها بسحر لم أدرك كنهه منذ اللحظة الأولى، ربما يكون سرّ جمالها..!

قاطعته مجدّدًا: وماذا عنها..؟ هل أحبّتك حقًا..؟

صمت قليلًا، أحنى رأسه، ونظر نظرة سلبية إلى الأرض لا يدري بما يردّ عليها، ثم أجابها بغير الذي يختلج صدره: لم أشكّ في حبّها يا عزيزتي.

قالت له غير مصدّقة: لكنّني أشكّ في قولك..!

اندهش قائلًا: تتحدّثين وتتصرّفين كما الكبار يا صغيرتي..!

أجابته مبتسمة: بعض البشر في الحياة استثنائيين أيّها العالم..! وقد أكون طفلة ضغيرة العمر، لكنّي استثنائية ابنة رجلٍ استثنائيّ، من فضلكَ تابع حديثك يا أبي ومرّر تلك النقطة فلا داعي للإحراج..!

سهيل: كم أنا فخورٌ بكِ يا حبيبتي، واعلمي أنك تفوقين ذكاء أبيك بكثير، فلم أكن لأفقه شيئًا وأنا في مثل سنّك..! وأكثر من ذلك، كان الناس يظنون أنّ بي مسًّا من الشيطان أو جُنّة لشدّة انعزالي وصمتي وإحجامي عن الكلام إلا ما ندر..!

ليلى: وأين العلّة في ذلك يا أبي..؟ كلّ العباقرة كان حالهم مشابهًا..!

ضحك سهيل وقال: وقرأتِ أيضًا عن نشأة صانعي التاريخ أمثال "أينشتاين" وغيره..؟

ليلى: بالطبع..! وأنت أحدهم، لعلّي أكون مثلك يومًا ما.

قال قبل أن يكمل لها قصّته مع أمّها: أنتِ رائعة حقًّا ويومًا ما، ستصبحين أفضل منّي وتتفوقين عليّ.

أمّا أمّك، فقد أحبّتني ولكن على أيّ حال لم يكن حبّها أقوى من حبّي لها، ولو كان كذلك لما افترقنا. اسمعي يا بنيّتي، قبل الزواج كان الأمر مختلفًا إذ أنها تعرف جيّدًا أنّ حولي الكثير من المعجبات، وعلى الرغم من أني لم أكن لأنظر أو أسهب في الحديث مع أيٍّ منهن، ورغم إظهار الأمر كأنه طبيعي، كانت تقول دائمًا: كونك شخصٌ مشهور نتيجة علمك وإبداعك هذا في حدّ ذاته سيجعل الكثيرات حولك معجبات يُردن الشهرة إضافة لكونك شابٌّ وسيم، وسيجلب لي الكثير من المشاكل التي لن تفهمها، ولا يَخبرها غير النساء، لكنني مجبرة على القبول كوني أحبُّ التحدّي وسأعمل على إرضاء غايتي وهذا يكفيني. وكنت أردّ عليها قائلًا: بل يكفيكي حبّي لكِ، وأنّي لن أسمح لإحداهن بالتسلل إلى عالمنا لئلا تتأذّى مشاعرك، أعدكِ بذلك على شرط... أن يكون لي نصف الحقّ، فنحن في مجتمع يعاني من الانحلال الأخلاقيّ ولا أريد لك صديقًا ولا حبيبًا غيري، وأظنّ هذا عادلًا.

وبعد مرور عامٍ على زواجنا، تبدلت بيننا أمور كثيرة والعهود تغيّرت.

ليلى: مثل ماذا..؟

سهيل: يا لكِ من فتاة شرّيرة..! أرهقتي أبيك وتركته دون طعامٍ أو حتى كوب عصير مانجو من الذي أفضله.

تنهض ليلى من فورها قائلة: حتى أنا أحبّ المانجو مثلك..! أمهلني دقيقة واحدة يا أبي وأعود بعدها محمّلة بكلّ ما يرضيك، بعد إذنك، ولعلّ أمّي تحضر أيضًا لتشاركنا الحديث.

سهيل: أتمنى ذلك، أبلغيها تحيّتي..!

الفصلُ الثَّامن

تعودُ مايا إلى مصر مجدّدًا مع العمّ إدريس ورأت أنه المكان الوحيد على الأرض الذي ستشعر فيه بالأمان خاصّة بعد مواجهتها للكثير من المشكلات. تكفّل العمّ إدريس بحمايتها ومرافقتها خطوة بخطوة في أيّ مكانٍ تذهب إليه، بل أصرّ على أن تقيم معه ومع زوجته العمّة صباح.

نزلت في حيّ الجمالية في القاهرة الفاطمية حيث بيت العمّين إدريس وصباح. نامت بعمقٍ من شدّة التعب وظلّت لأيام على هذا الحال. استغربت العمّة صباح كثيرًا من هذا الأمر لكنّه لم يُدهش العمّ إدريس! وفي مساء آخر يوم من الأسبوع، استيقظت أخيرًا من سباتها وكان العمّ إدريس مايزال في دكانه. شعرت بها العمّة صباح على الفور فجهّزت لها لوازم الاستحمام والطعام الذي لم تدرِ أيكون إفطارًا أم غداءً أم عشاءً..! لكنها حسمت الأمر أخيرًا قائلة: على أيّ حالٍ بالهناء والشفاء، "يا رب مطرح ما يسري يمري"، صمتت قليلًا ثمّ أردفت قبل أن تخرج عليها في أبهى حلّة: إنها حقًا فتاة غريبة ويبدو أنها تخفي سرًّا عظيمًا عليّ أن أعرفه لأني لا أريد لي أو لبعلي أن يسكن حياتنا أشخاصٌ مجهولون، إنها لا تبدو طبيعية أبدًا وكأنها ليست من البشر..!

تعوّذت بالله من الشيطان الرّجيم وانتفضت في مكانها قائلة بصوت متوسّط الارتفاع: "أشتاتًا أشتوت، دستور يا سيادنا".

ثم أقبلت عليها مبتسمة فقالت مايا: أنت امرأة جميلة وطيبة القلب أيّتها العمّة. ضمّتها إليها لتنعم بهذا البهاء الذي أطلَّ عليها محفوفًا بالخجل والوجل وهي تضحك، دعتها للجلوس إلى طاولة الطعام ثم قامت وفتحت نافذة الصالة المطلّة على سور النّصر، تسلّلت الشمس على استحياء من خلف سُحُب السّماء الشتوية وصافحت وجهها النّضر وبعض أجزاء جسدها الأبيض المغطّى بجلبابٍ أسود طويل من ثياب العمّة صباح الفولكلوريّة، وكانت قد أعطتها إيّاه لتستر جسدها وتستبدل به ملابسها القديمة المتسخة. تعجّبت مايا من عظمة السور وجماله ومنظره المهيب، فسألت العمّة عنه. أجابت صباح قائلة: إنه سورٌ قديم جدًّا منذ ولادتي وأراه دائمًا. حكى لي أبي رحمه الله تاريخه وأنصحك أن تسألي عنه العمّ إدريس فلديه قدرة أكبر على تذكّر مثل هذه الأشياء، ثم ضحكت وتابعت قولها: يمكنك أن تسأليني عن المأكل والمشرب، القماش وسوق الصّاغة.. يمكنني أن أشرح لك عن هذه الأمور ربما لأنها تقع في دائرة اهتماماتنا.

نظرت إليها العمّة صباح نظرة فاحصة واستفزّها جمالها الذي لم ترَ له مثيلًا من قبل، فلم تتمالك نفسها إلا وأمطرتها بوابلٍ من الأسئلة: أنت جميلة جدًا يا ابنتي، جمالك يفوق جمال البشر فكيف يكون ذلك..؟ ولماذا أنتِ وحدك في هذه الحياة..؟ تؤرقني الرّيبة تجاهك وعليكِ أن تحطّمي حواجز الخوف داخلي بالإجابة عن كلّ هذه الأسئلة وتخبريني عن قصّتك كاملة.

توقفت عن الكلام، لاحظت أن مايا لم تأكل شيئًا بعد، شعرت أن أسئلتها سبّبت لها الحزن عندما لاحظت ملامح وجهها التي تغيرت والسعادة التي بدّدتها الكآبة، أرادت أن تصلح الأمر فقالت لها مداعبة: ألم يعجبك طعامي يا شايا..؟!

أجابت مايا: على العكس تمامًا عمّة صباح، يبدو جميلًا منسّقًا وشهيًّا لكنّي آكل طعامًا خاصًّا يعرفه العمّ إدريس وهو معه الآن، وبالمناسبة اسمي مايا وليس شايا..!

تلعثمت صباح وقالت: اعذريني يا ابنتي فقد كبرت وذاكرتي باتت ضعيفة لكن عن أيّ شيءٍ تتكلمين ولماذا لم يخبرني العمّ إدريس عن كل ذلك؟ لو كنتُ أعلم أنّ لكِ طعامًا خاصًّا لجهّزته..!

مايا: لا بأس، فالعمّ إدريس معذور لم يكن يعرف أني سأستيقظ في هذا الوقت وإلا لترك لك الصندوق.

العمّة صباح: صندوق..! أيّ صندوق يا شايا..؟

مايا: من فضلك أيتها العمّة، اسمي مايا وليس شايا، أترينني في وعاء أو كوب..؟

يضحكان معًا بصوت مرتفع وتسود حالة من البهجة والسّعادة، ثم تنهض مايا من مكانها راغبة في الذهاب إلى دكّان العمّ إدريس لعلّها تحصل منه على طعامها فشعرت أنها تتضور جوعًا ولن تتمكّن من الصّبر حتى موعد عودته. أرادت العمّة صباح أن تصحبها لكنّ مايا أصرّت أن تذهب بمفردها فلم تكن تريد أن تتعب العمّة أكثر من ذلك رغم إلحاحها الشديد لتطمئن عليها وتحرص أن تكون بمأمن من أي خطر يمكن أن يصيبها، لكنها لم تجد بدًّا أن ترضخ لإرادة مايا بعدما طمأنتها الأخيرة أنها تعرف الطريق إلى دكانه جيدًا فلم تترك أيّ عذرٍ آخر للعمّة صباح.

بدأت سيرها قاصدة الدكّان، مرّت في طريقها على شارع النّحاسين، رأتهم يصنعون كلّ ما يتعلق بالأدوات المنزلية والمطاعم وما يأكل فيه البشر من النحاس بنوعيه الأحمر والأصفر. كانت سعيدةً جدًّا تطربها أصوات الأدوات المصنوعة يدويًّا حتى أنها من شدّة إعجابها بهم توقفت أكثر من مرة تشاهدهم وهم يتبادلون العزف على القدور والصحون جميلة الشكل، وكانوا كلما وقفت أمام دكّان أحدهم، يستقبلونها مرحّبين ظنًّا منهم أنها ليست مصريّة بل سائحة مفرطة الجمال لا بدّ أن تشتري منهم شيئًا أو على الأقل ستعمل على نشر ثقافة صناعة النحّاس في بلادها التي جاءت منها..!

واصلت المسير حتى نهاية الشارع، وجدت نفسها تغرق في أمواج بشرية من الزحام الشّديد، السيارات تعجّ بالمكان، يكاد البشر يجدون مكانًا لأقدامهم بصعوبة بالغة والهواء يقلّ فلا يتنفسون. شعرت أنها أضلّت الطريق، فاستدارت لتعود من حيث أتت.

توقفت مجدّدًا عند أحد الصّنّاع الذي بادرها بابتسامة ترحيبٍ كبيرة فسألته: أين أجد شارع المدرسة الظاهرية..؟

اندهش منها لسماعها تنطق بالعربية بطلاقة فلم يكن يعرف أنها تجيد لغات العالم كلّه وتجيد التحدّث بلغة أي بلد تنزل فيها ثم أجاب: إنها في شارع المعتزّ لدين الله الفاطمي أمام جامع السلطان قلاوون مباشرة.

سألته مجدّدًا: وماذا عن هذا الشارع الذي وصلت إليه وكان فيه زحامًا شديدًا..؟

قال: إنّه حيّ باب الشعرية.

شكرته ثم مضت في الطريق الذي وصفه لها إلا أنها أخطأت المكان مرة أخرى، فبدلًا من أن تسلك الشّارع حتى منتصفه، وجدت زقاقًا على ناصيته ممرًّا أثريًّا بيضاوي الشّكل داخل بناية قديمة، تابعت سيرها مستمتعة بما تراه من بيوتٍ قديمة وآثار يفوح منها عبق الماضي حتى وجدت نفسها أمام الباب الرّئيسي لمسجد الحسين حفيد النبي محمد(ص).

همّت في الدخول لتتعرّف أكثر على مسلمي تلك البلاد وعن هذا المكان الذي شعرت أنه مقدّس ومبارك ولم يعجبها ما حوله من مقاهي تعجّ بالناس الذين يشربون الأرجيلة ويقهقهون ويرتكب بعضهم أفعالًا منافية للأخلاق العامّة ولا تناسب المكان. تعجّبت كيف يمكن لمكان عبادة مقدّس أن يقع في بئر الفوضى غير الأخلاقية هذه..!

لم تدخل، استرعى انتباهها مشهدٌ جميلٌ ذكّرها ببراءة الصّبا والجمال في الحياة. وجدت فتاة تنزل من سيّارة كبيرة واضح أنها تقلّ سائحين من دولة أخرى لم تتمكن من تحديدها ربما فلسطين أو الأردن أو لبنان.

الفصلُ التَّاسع

كانت تلك الفتاة الشامية ذات السبعة عشر عامًا تطلق بصرها نحو فتى مصريّ يبلغ من العمر عشرون عامًا يدعى شادي السَّوّاك، صبيّ يشقى في الحياة، حظي بقدر قليل من العلم ومازال يتابع تحصيله، يعمل في باحة مسجد الحُسين يبيع فيه السّواك. محبّب من الناس ومعروف في القاهرة الفاطمية بأكملها لحسن خُلقه ودماثته وأدبه الجمّ في التعامل مع الناس كبيرهم وصغيرهم، فميّزوه عن سائر الباعة بلقب شادي السّوّاك.

كان هو الأقرب لمايا التي وقفت بينهما متسمّرة مثلهما تتابع المشهد عن كثب، تنتظر ردّة فعل أحدهما. نزلت الفتاة من الحافلة وعينها ماتزال مصوّبة نحو هذا الشاب، نظرة إعجاب عميقة لا يُدرك كنهها إلا من جُنَّ من النظرة الأولى. لزم شادي مكانه يفصله عنها بضع خطوات كأنها أميال. سلبت لبّه بعينين ضيقتين ساحرتين، أشدّ سوادًا من ليل بهيم، تلمعان كسراج أوقد في العتمة، سكنتا وجهًا أبيض نضر يميل لونه إلى الحمرة كأنها أتت للتوّ من منطقة جليديّة شديدة البرودة، شعرها غجري، عودها فتّان كسنبلة أينعت، فاتسمت بالنحافة واستلمت مفاتيح الصّبا ما يدلّ على أنها في أرض وافرة الخير، وقوم أثرياء بما أنعم الله عليهم.

مرّت بجانبه فسحره عطرها الأنيق، ثم أخذت تتباعد المسافات، ثلاث خطوات، عشرة، عشرون... استغربت مايا من هذا التبلّد وبرّرت صمتهما

بحداثة سنّها وعدم الخبرة، شادي لم يتحرك من مكانه، الصبية الشاميّة أوشكت على المغيب كشمس عانقت سطح البحر لتعلن الأفول، تسير وسط فوج كبير على الأرجح أنهم أقرباؤها أو أصدقاؤها لكن ما لا شك فيه أنهم من بني جلدتها. أخذت تمشي وتلتفت إلى الوراء، ستغيب عنه بجسدها وقلبها وعقلها وصورتها المبتسمة ببراءة، ومبسمها كورقةٍ من شجر الصفصاف في مهدها لا ولن يغيب عنه.

بادرت مايا وأسرعت نحوه لتنتشله من جموده وتدفعه نحو الفتاة لعلّ قصّة حبّ نقية مختلفة الملامح تولد بينهما. انتزعته من ذهوله لتعيده إلى الواقع، وهي تخاطبه برفق: أنت، أيها الشاب الوسيم، هناك بعض اللحظات في حياتنا تقع فجأة وتزول فجأة دون أن نجد لها مبرّرًا لأننا لا نساعدها على الاستمرار كي تحيا، لكنها تعود في القريب العاجل أو الآجل، قد تتجدّد في صورة ندم، أو في مشهد جديد لقصّة ستبدأ حقًا وهذا المشهد هو استثنائي وشاذّ عن القاعدة لأنه ليس بالضرورة أنّ ما فات يعود أو ما يعود يكون مثله أو خيرًا منه، فهذا كله بيد الله لكن ليس بالضرورة أن نستفيد مما يقع في حياتنا الآن لأنه واقع حقًّا، وعصفور باليد خير من ألف على الشجرة. وقف أمامها مستغربًا مما تقول، يشعر وكأنها غاصت في أعماق نفسه وعلمت ما يختلج في صدره ويعتصر قلبه، لم يعرف أنها كانت تراقب الموقف عن طريق الصدفة، تلعثم قليلًا ثم قال لها مبتسمًا: أشكرك كثيرًا والشكر في حقك قليل، سأتحرك من فوري نحو حبّي الوليد.

همّ في الانصراف مسرعًا خلف الفتاة، ما إن تقدّم خطوتين إلى الأمام نحو صبيته التي أحبّها من أول نظرة ثم ابتلعها الزحام تاركة خلفها صورتها

التي سكنت روحه ولم تفارق مخيلته، حتى عاد إلى مايا يحمل إليها سؤالًا فقال: كأنك غريبة عن ديارنا وتلك النواحي كلها، هل لي أن أساعدك؟

فرحت مايا كثيرًا بذكائه وعرضه للمساعدة، فكانت فرصة مناسبة لتسأله عن دكّان العمّ إدريس، رحّب الفتى بها ودلّها على الطريق موضحًا لها أنّ ما من أحد في حيّ الجماليّة والحسين إلا ويعرف العمّ إدريس، فتابع بثقة بلهجته المصرية المحبّبة: "ده أشهر من النارع العلم".

عرض عليها أن يوصلها بنفسه إلى هناك، رفضت متحججة بأن الطريق سهل والمكان قريب ولا تودّ أن تعطله عن عمله أكثر، وكانت في قرارة نفسها تريد أن تفسح له المجال للحاق بالصبية قبل فوات الأوان، شكرها بملء قلبه فرحًا ممتنًّا لها، ربّتت على يديه متمنية له التوفيق. مشى محاولًا اللحاق بالفتاة فلم يتمكن من العثور عليها فالتفت إلى مايا وعيناه تقولان بحزن: لقد ضاعت مني..!

ابتسمت مايا تحثه على التفاؤل والأمل وأن عليه أن يسلك الطريق ذاته فيجدها، ثم نادت عليه وقالت: يا.... فهي لا تعرف اسمه. عاد إليها وهو يقول: اسمي شادي يا سيّدتي، شادي السّوّاك، وأنت؟.

أجابته: اسمي مايا.

ثم أخرجت من حقيبتها الصغيرة حجرًا كريمًا نادر الوجود على شكل نجمة صغيرة يلمع لمعانًا يخطف الأبصار ويتلوّن بألوان متعدّدة أجملها السماوي، يبرق في النور والظّلام، وضعته في يده فقال لها مندهشًا: لم هذا يا سيدتي؟

مايا: هذا ليس لك، بل لتلك التي أحبتك وأحببتها في لقاء غامض بينكما، اتبعها ولتبقَ على حبّك يا شادي حتى تحصّله، إن تمّ الأمر كما تريد، فهذه ثمار زرعك تجنيها، وإن لم يحالفك الحظ فيكفي أنك حاولت وقمت بواجبك.

أخذها شادي وهو يطير فرحًا لا يدري كيف يشكرها على حسن صنيعها وهديتها، ومضى خلف الفتاة يفتّش عنها واتجهت مايا في طريقها إلى دكان العمّ إدريس أخيرًا.

أهداء لجروب عصير الكتب

الفصلُ العَاشر

وصل العمّان إدريس وصباح بصحبة مايا تحقيقًا لرغبتها آملين في إمتاعها وجعلها تنال السّعادة المطلقة من هذه الرحلة التي لم تحظَ بمثلها من قبل.

أخذ لها العمّ إدريس شقة جميلة إيجارها مرتفع على الرغم من إمكاناته الماديّة المتواضعة لأنه أراد لها أن تنعم بالراحة والطمأنينة، مستغلًا كل السبل الممكنة لتحقيق ذلك. تقع شقتها في مواجهة البحر تمامًا في الاسكندرية في شارع خالد بن الوليد، وكان الجوّ وقتئذ ماطرًا والفصل شتاءً. ومع شروق شمس صباح اليوم التالي، ذهب ثلاثتهم في رحلة استكشافية داخل عروس البحر الأبيض المتوسط، بدأت بزيارة مكتبتها العريقة. أُعجبت مايا بالمكتبة وأخذت تسأل عن تاريخ إنشائها، فعلمت أنها من أعمال الاسكندر الأكبر الذي أمر بتشييدها قبل الميلاد. أبهرها محتواها التاريخي القدير وكنزها المعرفي الكبير، وصمودها أمام حملات الحرق والتحطيم التي مرّت عليها خلال العصور فظلت محافظة على عظمتها وبهائها.

بعد ذلك، اتجهوا لزيارة قلعة قايتباي البحرية التي تقع في مكان استراتيجي مهمّ على أطراف شاطئ المدينة وتميل إلى وسط البحر، كأنها جزيرة صنعت خصيصًا للذود والدفاع عن أهل المدينة. وعلمت من خلال اللوحة الإرشادية هناك أنها تعود إلى عصر دولة المماليك الذين كان لهم ماضٍ قريب في مصر كلها وليس الاسكندرية فحسب.

ثم أرادوا الذهاب إلى البحر، أخذوا يتمشون على شاطئه ينعمون بدفء الهواء، وقرّر العمّ إدريس وحده النزول إلى الماء ليعانق الأمواج ويصطاد الأسماك. اكتفت العمة صباح بالجلوس على الشاطئ واللعب بالرمال وتشييد أبراج شاهقة ثم هدمها كما الأطفال وهي سعيدة بذلك أيّما سعادة..! أما مايا، أخذت كرسيًّا صغيرًا وجلست إلى طاولة مستديرة تظللها شمسية ملونة من القماش تحميها من أشعّة الشمس السّاطعة. عرضوا عليها النزول لتسبح وتلعب معهما فقالت: إن متعة البحر تكمن في الجلوس في مقابله هكذا، فيراودك شعوران لا ثالث لهما: رائحة الهواء والماء، والنظر إلى جمال البحر الأخّاد، استمتعا على راحتكما ولا تخشيا عليّ شيئًا، إني هكذا بخير حال. أخرجت من حقيبتها الشّخصية الصّغيرة بنية اللون التي أهدتها إيّاها العمّة صباح لوضع حاجاتها فيها، كتابًا يتناول حياة الاسكندر الأكبر اقتنته من مكتبة الاسكندرية للاستفادة منها والتعرّف أكثر على هذه الشّخصية التي سلبت لبّها وحازت اهتمامها.

بعد مرور وقت قليل على القراءة المتعمّقة، أبعدت الكتاب جانبًا برفق وأطالت النظر إلى البحر تغوص في بقعة الجمال هذه، وجدت أمامها عالمًا مختلفًا غير الذي رأته من قبل بل لم تجد العمّين فيه، حتى ملابس الناس بدت أكثر غرابة..!

اندهشت كثيرًا، قامت من فورها تهرول لا تدري إلى أين تذهب، بدا الجوّ غائمًا أكثر من قبل، اختفت الشمس واختبأت بخجل خلف السحب، ارتدت السماء ثوب الكآبة كأنها تنذر بحدوث شيء غير عاديّ. صرخت تنادي على عمّيها علّ أحدًا يجيبها، فركت عينيها وقرصت نفسها لتتأكّد أنها ماتزال حيّة،

وخزها الألم، فأيقنت أنّ أمرًا غريبًا يحدث لا يمكنها تفسيره، همّت في الصراخ مجدّدًا لكنها توقفت لدى رؤيتها عدّة سفنٍ حربيّة تَمْخُرُ عباب الأمواج باتجاه الشاطئ.

أغمضت عينيها وفتحتهما، فوجدت نفسها محاطة بالجنود من كلّ حدبٍ وصوبٍ مدججين بالسّلاح يصيحون متوعّدين عدوّهم بالهزيمة. ارتعشت خوفًا وهي ترى أعدادهم الغفيرة تقصد السفن العملاقة التي رست على الشّاطئ.

تخفي مايا وجهها بيديها، تجهش بالبكاء، والحرب اشتعلت وليس من مفرّ، تجلس أرضًا تحتضن نفسها لا تدرك ما يجري حولها وكيف تحوّل مشهد البحر الجميل هكذا فجأة..!

تبدأ السفن القادمة بضرب البحر والقلاع، تتصدّى لها ببسالة سفن المدينة الصامدة، وقبل أن يصيبها الضعفاء الغازون، ينتشلها من كلّ هذا قائد جيوش الاسكندرية ويأخذها إلى قلعة بعيدة لتأمن الحرب حتى ينتهي القتال، ثم طمأنها ببسمة متفائلة: لا تخافي سيّدتي، سننتصر عليهم بإذن الله، إنهم غزاة ضعفاء ولن يتمكنوا من اقتحام المدينة، اذهبي الآن لتكوني بمأمن، وفور انتهاء الحرب سآتيك وأشرح كل شيء.

الفصلُ الحَادي عَشَر

وقفت لوجين على حافّة سور الجسر الذي أرادت الانتحار من فوقه، مضطربة خائفة تقدّم قرار القفز ثمّ تتراجع عنه، ضعفت قواها كثيرًا وشعرت بالوهن يتمكّن منها حتّى أنها أوشكت على السقوط لاإراديًا، فلم تعد تتمالك أعصابها التي أخذت ترتجف.

اكتفى ترانس بهذا القدر من التعذيب النّفسي لها، ثم تدخّل أخيرًا مناديًا عليها باسمها، ما جعلها تبتعد كليًّا عن السّور بعدما سمعت صوته الرّقيق الذي تغلغل في روحها برفق وسكنها وقد ألِفته منذ الوهلة الأولى حين رسمها في المقهى أمام برج إيفل.

جعلت السور خلف ظهرها وأدارت وجهها باحثة عنه في كلّ الاتجاهات طولًا وعرضًا لئلا تفقده مرّة أخرى، عيناها زائغتان في أمسّ الحاجة إلى رؤيته كي تستقرا، يداها باردتان تأمل أن تتحسّس ملامحه لتنعم بالدفء. وقبل أن يخيّب أملها في آخر محاولة للعثور عليه، وقبل أن يراودها الشعور مجدّدًا بأنه ليس إلا وهمًا كبيرًا فتلقي بنفسها في أحضان الموت لا محالة، وتمكث في الجحيم مفضّلة إيّاه على هذه الهواجس التي تسيطر عليها.

ظهر ترانس وراء تمثال لها صنعه لتوّه ليلفت نظرها ويبدّد مخاوفها. لم تره في بادئ الأمر إذ جذبها التمثال اللامع وأخذت تتفحصه بذهول ودهشة لشدّة الشّبه بينهما. وما إن انتهت من تأملاتها حتى شردت قليلًا تنتظر أن يمثل بين

يديها حيث كانت تشعر بأنفاسه تلفّها من كلّ جانب وتغمرها بعطرٍ أخّاذ أذهب عقلها. لم يفعل ترانس ما أرادت، لكنها كانت متيقنة من وجوده، ففكّرت في حيلة تجذبه وقالت بصوت مسموع: حسنًا، لا تظهر مجدّدًا فأنا لم أعد أحبّك، قلبي بات متجمّدًا كجبل جليد في المحيط نتيجة تجاهلك إيّاي، فلا يكفي أن تهتمّ بي ألواحك التي ترسمني عليها نيابة عنك، لم يعد عقلي يفكّر فيك بعد أن صار شطآنًا بلا مرسى ولا أريد أن أفقده وأنا على قيد الحياة، فكلّ ما تفعله يدفعني إلى الموت مجدّدًا.

ضحك ترانس في سرّه لإدراكه أنها حيلة مصطنعة وما تقوله غير ما تشعر به، ومع ذلك، قرّر الخروج إليها من خلف التمثال في أبهى صورة، عانقها لتكون ملكًا له إلى الأبد مثل نيفرتي..!

لم تتمالك نفسها من فرط السّعادة فضمته إلى صدرها لتشعر بالأمان ثمّ أبعدته عنها ولكمته لكمة على وجهه أفرغت فيها جامَّ عتبها عليه لتتمكن من مسامحته على أفعاله طوال الأيام الماضية، وتخلّصت بذلك من أيّ شحنة سلبيّة كانت ماتزال تنهش روحها نتيجة الانفعالات النفسية.

لم يعلّق ترانس على تصرفها، أخذ بيدها متجهًا نحو كوخٍ خشبي صغير يطلّ على هذا النهر موضحًا لها أنه سيقرّبها منه أكثر لينسيها كلّ ما تسبّب فيه، مخبرًا إياها أن أول ما ستراه هم أهله. رحّبت بالأمر كثيرًا وغبطتها الفرحة ثم سألته عن التمثال مبدية رغبتها في أن يظلّ معها دائمًا. استجاب لها ترانس وقام بتصغيره إلى حجمٍ تتمكن من حمله معها، فأمسكته وهي غير مصدقة لما يجري

أمامها وأنّ بحوزتها تمثال يشبهها تمام الشبه فلم تتمكن من منع نفسها عن السؤال: أخبرني كيف فعلت ذلك..؟

طمأنها ترانس مجيبًا: الأمر ليس فيه شيء من السحر، كل ما هنالك أنك تتوهمين أنه تمثال كبير بحجمك ولم تكوني وقتها متزنة نفسيًا وفكريًا، فعمل اللاوعي عندك على إظهار الأمور بعكس حقيقتها، وإلا كيف يمكن أن يحدث أمرٌ كهذا معي وأنا مجرّد رسّام لا خارق للطبيعة ولا نبيًّا.. رسّام أحب الفنّ فحسب.

لم تجدْ بدًّا من تصديق قوله لئلا تضيّع فرصتها في وجودها إلى جانبه، ولا تخسر حبيبًا انتظرته بشوق منذ زمن طويل، وهي الآن في طريقها للحصول على عائلة جديدة وربما حياة أخرى يبدآنها معًا.

وصلا المكان، كان بوجلو وماجلو متكئين على قطعة من الشبك مربوطة بين شجرتين أمام الكوخ، سمعاه ينادي عليهما، قفزا من مكانهما فورًا وانقلبا على وجههما أرضًا. أطلقت لوجين ضحكة طويلة لمنظرهما الساخر، ثم كتمتها حين أخبرها ترانس أن هذين الرجلين الأبلهين أخواه.

كانت نيفرتي في ذلك الوقت تستحمّ تحت شلّال دافئ قرب النهر، شعرت بقدوم ترانس، فأقبلت عليهم دون أن تلتفت إلى أنها بلا ثوب يسترها. لم يلتفت بوجلو وماجلو إلى مفاتنها بل سلب عقلهما جمال لوجين الأخّاذ الذي يفوق بنظرهما حسن نيفرتي ولو كانت عارية.

فوجئت لوجين لمنظرها، فأسرع ترانس يتدارك الموقف وخلع معطفه واتجه نحو نيفرتي يغطيها به، ثم شمّر عن أكمامه وقال ضاحكًا محاولًا انتزاع

تلك الصورة من ذهن لوجين: هذه أختي العزيزة نيفرتي، دائمًا ما تضيع ملابسها أثناء الاستحمام فتسرقها السباع والوحوش في الغابة القريبة منّا أو يبتلعها النهر ويسحبها معه أثناء جريانه.

ابتسمت لوجين ورحّبت بنيفرتي ونجح ترانس في استبدال تلك الصورة وترسيخ منظر عائلته في ذهنها، وقبل أن تنطق نيفرتي وتعترض على كلام ترانس وكذبته وتكشف لضيفته لوجين أنها حبيبة هرولت من تحت الماء مسرعة للقاء حبيبها ترانس بفرح وشوق، بادر بالقول مجدّدًا ليطفئ فرحة نيفرتي وبوجلو وماجلو بحضوره: هؤلاء الثلاثة هم أعزّ ما أملك في الحياة، أخواي وأختي العزيزة، إنهم كنزي الحقيقي الذي لا يمكن لشيء على الأرض أن يبدلني بهم. انظري يا لوجين، ثلاثتهم لا يتكلمون، أصابهم مرض وراثي وهذا ما كان عليه أبي وأمي وأجدادي، أنا فقط من يمكنه الكلام من بينهم وربما هي نعمة الله عليّ لأتمكن من رعايتهم والاعتناء بهم وأكون نِعم السّند لهم في الحياة.

اقترب ترانس من بوجلو وماجلو ووضع يديه بالتبادل على خديهما مداعبًا كالأطفال وقد أصابهما الذهول ممّا يسمعان، ثم تابع قائلًا: أليس كذلك يا أحبائي؟ فابتسما بسمة البُلَهاء وأومآ برأسيهما مؤكّدين كلامه. أما نيفرتي، لم تبح بشيء وعدلت عن رغبتها مكتفية بابتسامة مصطنعة للضيفة الجديدة وقد علمت أنها ضحية أخرى من ضحاياه ومصيرها سيكون متشابهًا. أقبلت تعانق لوجين بشوق مزيّف إرضاء لترانس كي لا يغضب ويلحق بها الأذى بسبب الصراعات التي بداخله وكلاهما على علم بها جيّدًا.

الفصلُ الثَّاني عشر

لأوّل مرّة منذ طلاقهما توافق مارتينا على أن تلتقي سهيل وترحّب بعرضه في الذهاب إلى أحد المنتزهات مع ابنتهما ليلى لينعم الثلاثة بوقت رائع وسط الزهور العذبة والبلابل الشجيّة ومرافقة العشّاق ومشاركتهم في جمال هذه الطبيعة الغنّاء.

راحت ليلى تنضمّ إلى أحد الصغار القادم مع أسرته في اللعب والمرح وغاب عنها ما طلبته من أبيها أن يحدّثها عن الماضي وقصّته مع والدتها. همّ أن يفعل ذلك لكنه تراجع بمجرّد أن رآها تلهو بحماس وقد نسيت الموضوع مستمتعة مع الطفل بعد أن كانت محرومة من هذا الجمال وتلك المساحات الشاسعة من فوضى الطفولة وبراءتها. غير أنّ مارتينا تعرف ما في نفس سهيل، فلم تخجل من مصارحته قائلة له: بُح بالذي جئت بنا من أجله ولا تكتمه فتخسر الخير الذي وراء مطلبك، وتجهد نفسك في الغد نادمًا على عدم الإقدام والخوض فيما يختلج صدرك.

سهيل: لا شيء جديد تجهليه وقد بينت لكِ كل شيء قبل فراقنا غير أنك كالعادة لا تسمعين، فماذا يضيف قولي إن لم تكن هناك آذانٌ تحتويه؟ أرادت ابنتك أن تكون تلك الآذان رغم صغر سنّها، ابنتك أرادت أن تفعل ما كان يجب أن تفعليه أنت..!

قاطعته بحدّة قائلة: لا تلقِ باللوم عليّ وحدي! أنت أيضًا لم تتنازل أو تقدم بادرة للحفاظ على ما كان بيننا.

أجابها بحزم: تقصدين ما كان مني إليك... حبًّا عظيمًا واهتمامًا لا مثيل له.

مارتينا: هكذا أنت دائمًا لا تتغير! ترى الأمور وتزنها من اتجاه واحد ومن زاوية ضيقة.. مصلحتك الشخصية فحسب، ومجدك الخاص فقط.

ضحك بسخرية شديدة وقد أصابته هستيريا الذهول ممّا يسمع، ثم هدأ قليلًا وتمالك أعصابه وقال لها: مازلتِ كما عرفتك، تقلبين الموازين للحصول على المزيد من الحجج والأعذار الواهية ظنًّا منك أنها تدعم موقفك. وما هي إلا وهمٌ فوق وهم، كالذي يرى السّراب في الصّحراء فيتجه نحوه وهو متيقّن أنه مزيف ولن يحصل إلا على الفراغ والألم بدلَ أن يجدّ في البحث عن بئر ماء حقيقي.

توقفا عن الحديث والألم يعتصر صدريهما، أجهشت بالبكاء، لم يكن يرى وجهها إذ كان ملتفتًا إلى ابنته وهي تلوّح لهما مداعبة من وقت لآخر، فيبتسمان رغمًا عنهما كي لا تشعر بالسّوء رغم ما يعصف بنفسيهما من أعاصير وبراكين ثائرة. تسقط دمعة ساخنة على ظهر كفّه الأيسر الملاصق ليدها اليُمنى وهما على المقعد الخشبي الصغير، ولولا أن كان الجوّ ربيعًا والريح تحمل دمعاتها إليه، لما شعر بها. ضمّها إلى صدره ليهدّئ من روعها، لم تبدِ أيّ مقاومة تجاهه، بكت في حضنه وقد أحسّت بالأمان والرّاحة التي افتقدتهما منذ أن فارقته. قالت بصوت

خافت يكاد لا يسمعه بأذنه إنما يلمسه بإحساسه: أنا ضعيفة من غيرك، وكنت في حاجة إليك دائمًا، لكنّ شيئًا ما بداخلي كان يمنعني من منحك هذا الحقّ ربما لكوني أرى الكثيرات من حولك اللاتي يتودّدن إليك في كلّ لحظة ولا يدعنك وشأنك حتى وأنت معي في البيت.

قاطعها قائلًا: لكم تناقشنا في تلك الحماقات وفي كلّ مرة أسألك سؤالًا واحدًا لا أجد له ردًّا. هل كنتِ ترين منّي استجابة لهنّ؟ كلهنّ عندي سواء يقعن في خانة واحدة، معجبات بعملي وأعاملهن من هذا المنطلق، أمّا بقية النساء فقد كنتِ تتعاملين معهنّ بطريقة مباشرة نيابة عني وكلانا يعلم أنهنّ طالبات للشّهرة ليس أكثر. ومع ذلك، منذ بداية حبّنا وحتى الارتباط، وضعنا شروطًا وضوابطًا للتحكم في مثل هذه الأمور، وكان أهمها والذي من خلاله تمّ بناء عشّ الزوجية، أن أحتويك جيدًا، وتتفهمي طريقة عيشي كعالم مشهور وتتكيّفي معها، أوفيتُ بعهدي لك وأنتِ خنتيه، وتحوّلتِ إلى امرأة أخرى بعد أشهر قليلة من زواجنا.

دفعته عن صدرها وهي تضع كفّها الأيمن على فمه، قائلة له: صهٍ، أردت أن تعرف سبب تغيّري عليك، إنّه الأمر الذي ما إن تعلمه المرأة عن الرّجل حتى تصبح واحدة أخرى، الخيانة يا عزيزي، ومع لوجين، كلّ أركان نقمتي عليك كانت مكتملة، فلطالما كنتَ تحدّثني عن عبقريّتها وإعجابك بها كعالمة فريدة من نوعها، وكنتُ دائمًا أطرد أيّ شكّ تجاهك كونك عاهدتني وأنا أصدّقك، وبقدر ثقتي بك بقدر ما كانت صدمتي منك، إذ أنّ لوجين نفسها حدّثتني عن علاقتك بها وعشقك لها والأيام الحمراء التي قضيتماها معًا!.

اندهش سهيل من سماعه الأمر، أخذ يرتّب الأفكار التي تكالبت عليه، فما قالته زوجته السابقة محض افتراء وادّعاء، حاول أن يقنعها أن قصّة لوجين ومحاولة التودّد إليها بدأت بعد فراقها وزواجها من رجل آخر، وأنّ لوجين حتى الآن تتكبّر عليه وتعامله معاملة سيّئة للغاية، لكنها كعادتها لم تستمع إليه، ولم تبرّر له سبب كتمان هذا الأمر كل هذه السنين وأنه كان يجب أن تعاتبه على مثل هذا الموضوع الذي دمّر حياتهما وجعل ابنتهما تدفع الثمن غاليًا. لم تجبه، قامت منتفضة من مكانها تردّ على مكالمة الهاتف، ثمّ نادت على ليلى، أمسكت بيدها مبدية رغبتها في الذهاب ومغادرة المكان حتى دون أن تترك لها المجال لتودّع أبيها.

غضب سهيل وصاح فيها: عودي إلي، اتركي زوجك الذي يضيّق عليك وعلى ابنتي وسأصلح كل ما كان ولو أنه افتراء وظلم.

كانت قد ابتعدت عنه بضع خطوات، توقفت واستدارت مجيبة بصوت حزين: صحيح أن هذا الرجل يضيّق عليّ لكنّه لم يخنّي فالحياة معه جيّدة على أيّة حال.

تضرّع إليها قائلًا: لم أخنكِ، من أجل ليلى عودي إليّ فمازلت أحبّك.

ردّت عليه قائلة: بل خنتني ولتعرف الأسباب اسأل حبيبتك العاشقة التي استمتعت معها.

الفصلُ الثَّالث عَشَر

يأخذها من يديها بعد أن انتهت الحرب ورجع العدوُّ مهزومًا إلى بلاده عبر بحر الرّوم الذي أتى منه مقهورًا منكسرًا. تستغربُ كثيرًا مما فعله، يقف أمامها مبتسمًا ليدحض دهشتها قائلًا لها بكلّ رقيّ وثقة: الآن تقريبًا بعد نصرنا المؤزَّر هذا، خضعت لنا جلّ ممالك وامبراطوريات الأرض بفضل الله ونصره لنا.

تتلعثم على لسانها الكلمات، تغتالها السّعادة المجرّدة من فوبيا الذهول، غير أنّها تجرّأت بعد الخروج من هالة الوقوف بين يدي سلطان وقائد جند مثله وسألته: من تكون يا سيّدي؟ أراك ملكًا عظيمًا أتاه الله الملك لا مجرّد قائد جيشٍ يخوض معركة بحريّة في مدينة كهذه وإن كانت كبيرة.

يهمّ أحد الجنود الواقفين حولهما في إخبارها، أشار إليه أن يتوقف قائلًا: عُد إلى موقعك أيّها الجنديّ! ثم استرسل في الحديث معه برفق ولين كدليل على خلقه الرفيع وحُسن معاملته لمن هم دونه رتبة لئلا يشعرون أنّ به كِبَرًا: اعلم أيها الجنديّ أنّ الإنسان حين يتدخّل فيما لا يعنيه يجد ما لا يرضيه، أعفيك من التدخّل في شؤوني كي لا تجد ما يثير بيننا العداوة والبغضاء، وقد منحنا الله القوة نتيجة وحدتنا.

قال الجندي وهو راضٍ فرح بما يسمع: هذا هو سرُّ حبّنا لك أيها الامبراطور العظيم، أدامك الله لنا وأحياك في قلوبنا يا سيّدي، ثم ودّعهما وانصرف.

اتجها معًا نحو فرس أبيض من أصول رومانية مشهورة، رفعها إلى ظهره، فقالت له: أفعالك تزيدني فضولًا، ألن تخبرني من أنت؟ أكاد لا أصدّق ما أرى! الشكّ في داخلي لا يدعني بسلام.

كانا قد وصلا إلى المركب الذي سيستقلانه، أنزلها عن ظهر الجواد، ليُبحرا في عرض البحر متجهين إلى أمصارٍ وقاراتٍ أخرى، فقال لها: الصبر أيتها المرأة العزيزة والدرَّة الفريدة، ستعرفين من خلال هذه الرّحلة كلّ ما يؤرقك، المطلوب منك الآن الصَّبر فقط لتحدّثك أفعالي دون أقوالي وتكشف لك عن هويّتي، فهل تمضين معي في هذا..؟ لا أجبرك على شيء، يمكنك الرفض وسأرجعك إلى حيث كنتِ. ابتسمت بجذل غير مصدّقة ما حولها وأجابت: بل خطاي على خطاك يا سيّدي، هذا من دواعي سروري وإنّ غدًا لناظره قريب.

ينزل بها في قارّة آسيا عبر البحر الأبيض المتوسّط "بحر الرّوم العظيم"، يمرّ بها قرية تلو الأخرى، يجوبان معًا الوديان والسهول، المدن الحضرية والريفية، يطمئن على الرعيّة بطريقة بالغة الدقّة ويبدي اهتمامًا شديدًا بأحوالهم، والغريب أنّ معظم الناس لا يتعرّفون عليه بل يظنّونه من المحسنين، يتصدّق عليهم، يرعى مريضهم، يلبّي حاجة فقيرهم، ينصر ضعيفهم، يردع الجبّار فيهم، يكاد لا يعرف النوم إلى أجفانه سبيلًا، يمرُّ عليه الليل يتبعه النهار، تنام هي وتستيقظ فتراه على نفس الحال يعمل بكدّ بلا ملل.

ذات صباح، وجدته قرب شجرة يحتطبها ليوقد النار أمام خيمتها ليلًا فالكمية التي معهما تكاد لا تكفيهم اليوم. توجّهت نحوه، أمسكت بقطعة قماش من شالها المصنوع من الصوف، همّت في أن تمسح عن جبينه حبّات العرق

المتساقطة كالمطر لئلا تُضايق جبينه وعينيه، منعها بلطف قائلًا: أعيدي القطعة إلى شالك الصوفي وحاولي أن تجعليها كما كانت من قبل، فإن لم تتمكني من ذلك دعيها لي أخيطها فور انتهائي من عملي إن شاء الله. تعجبت من فعله فسألته عن سرّ ذلك، أجابها قائلًا: لربما مررنا في أسفارنا على مناطق مناخها ربيعي أو شتوي يسيطر البرد القارس فيها على الجوّ والخلائق فتحتاجين شالك.

انتقلا من مكانٍ إلى آخر وقد مكّن الله له في الأرض وآتاه من كلّ شيءٍ سببًا، "فأتبع سببًا، حتى إذا بلغ مغرب الشّمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قومًا، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذّب وإما أن تتخذ فيهم حُسنًا، قال أمّا من ظلم فسوف نعذّبه ثمّ يُردّ إلى ربّه فيعذّبه عذابًا نُكرًا، وأمّا من آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحُسنى وسنقول له من أمرنا يُسرًا، ثمّ أتبع سببًا، حتى إذا بلغ مطلع الشّمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا، ثمّ أتبع سببًا، حتى إذا بلغ بين السّدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك فرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا، قال ما مكّنّي فيه ربي خيرٌ فأعينوني بقوّة أجعل بينكم وبينهم ردمًا، آتوني زُبُر الحديد، حتى إذا ساوى بين الصَّدفين قال انفخوا، حتّى إذا جعله نارًا، قال آتوني أفرغ عليه قِطرًا، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا، قال هذا رحمة من ربّي، فإذا جاء وَعْد ربّي جعله دكّاء وكان وعد ربّي حقًّا".

وقف بها بعد هذه الرحلة الماتعة والغريبة عند شاطئ بحر الروم العظيم "الأبيض المتوسّط" معلنًا رغبته في العودة بعد حضور أحد جنوده الذي كان

يجهّز المركب. لم تنطق بكلمة واحدة لا مدحًا ولا اندهاشًا ولا حتى سؤالًا، فما رأته معه كان أعظم بكثير، وأوّل ما نطقت به: أنت نبيٌّ إذًا..! كنت أسمع ذِكرك دائمًا خاصة يوم الجمعة عاليًا في السّماء الدنيا.

قال: أنا الإسكندر الأكبر.

قالت وقد أصابها الذهول: ماذا قلت؟! لقد نادوك بذي القرنين فكيف تكون الاسكندر؟

قال: مثلك أنت تمامًا، يُقال لك مايا وأنت شيءٌ آخر.

مايا: أتعرف اسمي أيضًا؟!

الاسكندر: بل وكلّ شيء عنك، إنه مكتوب على جبينك. ألم تعترفي أن ذكري مخلدٌ إلى أن يشاء الله..؟ ألم تسمعي قبل قليل قوله تعالى: "وآتيناه من كلّ شيء سببًا"؟

قالت وقد غيّرت موضوع الحوار: إنهم لم يكتشفوا يأجوج ومأجوج بعد رغم كلّ التقدّم العلمي والتكنولوجي، لكن ما الذي اقترفوه لكل ذلك أيها الملك..؟

الاسكندر: القتل والظلم، السّرقة، الكذب، وأمورٌ أخرى كلها بتطرّف، فلو أنّهم يفعلون ذلك بدافع طبيعتهم البشرية وسنّة الله في الأرض الاختبار العظيم وتوفير كافة المتناقضات ليميز المفسد من الرّاشد فأتاني أمر الله بحجبهم عن بقية أهل الأرض.

تقفز مايا مجدّدًا عن موضوع النقاش من نقطة إلى أخرى وتقول: ولكني لم أقرأ في هذا المؤلَّف الذي يتناول حياتك أنّ هناك ما يؤكد أنّ الشخصيتين هما واحد فكلها آراء دون سند قاطع.

قال لها مجيبًا: يقول الله تعالى عن البشر: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"، فمن الطبيعي أن يحتاروا في معرفة الحقيقة، حتى أنا وإن كنت نبيًا وملكًا دانت له الأرض بأمر ربّها مازلت أجهل الكثير من الأمور.

مايا: أنت عظيم جدًّا يا سيدي.

الاسكندر: هذا من فضل ربّي.

صمتا قليلًا أخذت تتأمله بسعادة بالغة كونها في حضرته بينما كان هو يقرأ ماضيها بما منحه الله من تبصّر.

قال لها فجأة: احذري الرّعد الخاطف فإنه يلوح في الأفق باحثًا عنك ليجعلك طوال عمرك مقيّدة وما هو عنك ببعيد!.

انتبهت مايا مما هي فيه فجأة على وقع تلك الكلمات التي قالها لها، سألته عن هذا الرعد فلم يجبها، لم يعد موجودًا، اختفى الاسكندر فجأة من أمامها، ظلت تنادي عليه قائلة: سيدي الاسكندر، أين أنت يا مغيث الملهوفين بأمر الله، يا سند من يحتاجك، أين أنت؟.

لم يستجب لها ولن يفعل، فلم يكن سوى رؤية زارتها في غفوتها أثناء سباحتها في سطور كتاب عن الاسكندر الأكبر، إلا أنها هدأت بعدما رأت

أمامها العمّين إدريس وصباح عائدين من البحر يسألانها عن رغبتها في الطعام. وافقت، وذهبا لتحضيره بينما جلست هي تستحضر ما رأته في منامها من جمال وروعة. تستحضر صورة الاسكندر الأكبر الرائعة العالقة في ذهنها وكلماته البرّاقة وأفعاله، كما استغرقت في التفكير في آخر ما قاله لها حول الرعد وبدأ القلق يحوم حولها خوفًا من القادم المجهول.

أهداء لجروب عصير الكتب

الفصلُ الرَّابع عَشَر

استغلَّ ترانس سعادة الفرنسيين في الاحتفال بعيد الاستقلال والتحرير من الألمان، فراح يخترق عدّة مواقع أثرية وحيويّة وخاصّة في مختلف المدن الفرنسية، لكن هذه المرّة دون استخدام القتل المباشر، إنّما إظهار لمدى سلطته وقوّته وبطشه وأنه قادر على فعل أيّ شيء في أيّ مكان في العالم وفي أي وقت يشاء.

كانت ضربة قاصمة بالنسبة للشعب الفرنسي تخطى صداها الحدود إلى الدول الأوروبية المجاورة كما أراد، لتحمل رسالته تحذيرًا شديد اللهجة مهدِّدًا إيّاهم أنّ المرّة القادمة ستكون أكثر خطرًا وأشدّ إيلامًا من سابقتها.

عجزت الحكومة الفرنسية ورئيس الجمهورية عن معرفة الأسباب تمامًا كما حدث في الولايات المتحدة، إلا أنّهم وجدوا في أمريكا دوافع القتل مختلفة عن فرنسا التي كان يقتصر الأمر فيها على التدمير فحسب دون القتل، مما أدخل كلّ الدول في دوامة هائلة من الحيرة والدهشة. قرروا إثر ذلك عقد اجتماع طارئ في مجلس الأمن للبحث عن الفاعل، وبعد مناوشات ومفاوضات استمرّت أيامًا، وبعد أن ألقت كلّ دولة رداء التهمة وألبسته الدولة الأخرى، خلصوا إلى أن الأمر غير بشري بل هو عبارة عن غزو فضائي منظّم لا يقوون على مواجهته إن لم يتّحدوا معًا. وفجأة، تلقوا تهديدًا مباشرًا بتفجير مقرّ مجلس الأمن إن لم يتمّ فضّ هذا الاجتماع على الفور. قام رئيس الولايات المتحدة متحدّيًا الرسالة وهو

يدّعي أن كل أجهزة الدولة من مخابرات وجيش وشرطة يؤمّنون المبنى جيدًا وليس هذا فقط، بل الدولة بأكملها. ثم هبّ الرئيس الروسي من مكانه ساخرًا مما سمع قائلًا لنظيره الأميركي: لو كان الأمر كذلك حقًا فأخبرنا كيف تمّ قتل وتهديد ولاية كاملة؟!، أليست هذه الولاية على أراضيكم وضمن سلطتها؟.

احمرَّ وجه الأميركي غضبًا وقال صائحًا: هذه إشاعة سيئة لا أقبل أن تنتشر وتمسَّ سمعة بلادي، لقد حدث أمرٌ مشابه أيضًا في فرنسا فلماذا يتمُّ توجيه اللوم والسخرية إلينا وحدنا؟، ولو أنَّ أراضينا غير آمنة كما تقول لما جلستَ أمامي الآن بأريحية وسلام بل وتخاطبني على العلن بطريقة غير لائقة!، إنها أرض الأمن والحرِّيات..!.

ينفِّذ ترانس تهديده فعلًا بعد أن يئس من فضّ الاجتماع، يرسل لهم طردًا من فرنسا بداخله باقة عطر فرنسية مزيفة وهي في الحقيقة ليست سوى مادّة سامّة تتغلغل في الجهاز التنفسي تقطّع أنابيب الهواء وتقتل من يتنشقها على الفور.

عمَّت الفوضى المكان برمَّته، وتناولت وسائل الإعلام الخبر، فزع الناس جميعًا وأخذوا يتعاطفون مع رؤساء دولهم وملوكهم. كان ملصقًا على الصندوق أسطوانة مرنة مسجّل عليها فيديو حيٌّ لترانس، كانت المرّة الأولى التي يظهر لهم فيها إنما مقنّعًا يتقمّص وجهًا كان في حدّ ذاته مفاجأة للحضور..!.

قال لهم بصوت جهوري: كان بإمكاني أن أنفّذ مهمّتي وأبيدكم جميعًا بل الأرض كلها بما عليها، إلا أني أكتفي بتبيان قدرتي العجيبة لكم لتصدّقوا أن بإمكاني أن أُلحِقكم جميعًا بدرك الجحيم. صوّر لهم في الفيديو تجربة عن الغاز السّام

الذي أرسل لهم عيّنة منه وشاهدوا تأثيره على قطة، ما إن شمّته حتى اختنقت وبدأ جلدها يتآكل بشكل مخيف وذاب اللحم والعظم وتحوّلت إلى رماد. فزع الجميع وشهقوا شهقة واحدة لهذا المنظر الرهيب، فصاح فيهم وكأنه يراهم: لا تخافوا، العيّنة التي أرسلتها لكم لا تؤثر إلا في الحيوانات لأن جيناتها مختلفة عنكم، ولكنّ بإمكاني أن أطوّره وأجعله أقوى يدمّر البشر بنفس الطريقة وهذه المرّة لن أرسله في طرد ضيق بل سأَنفُثُه ليسود العالم بأسره، فتحمله السحب وتسافر به أراضيكم، وتمطره عليكم، ويحمله الهواء ليدخل أجسادكم رغمًا عنكم فتموتوا عن بكرة أبيكم. ثم ضحك ضحكة جلجلت في المكان وختم قائلًا: أراكم في كارثة أخرى..!

لفّ المكان صمت رهيب أطبق عليهم، عقدت الدهشة ألسنتهم ولم يقوَ أحدهم على النطق ومواجهة الرعب الذي عشّش في دواخلهم، ثم نهض ملك المملكة العربية السعودية من مكانه متمايلًا وقال: اطمئنوا، الحل عندي..! يلتفتون إليه غير مصدّقين فيقول أحدهم: وما الحل؟ يجيبهم: الأمر سهل جدًّا وبسيط يا وجوه الخير، انتظروا ليتصل بنا مرة أخرى فنعطيه ما يريد من أموال وإن وصلت لمليارات الدولارات فسوف أؤمنها من عائدات النفط الخليجي وهو كما تعلمون وفير، وما هذا المجرم إلا لصًّا يطلب الشهرة والثراء. أما الأولى، فقد حصل عليها وبات العالم كله يتحدث عنه، والمطلب الثاني سنحققه له فيكفينا شرّه وينتهي هذا الهراء الذي قطعت إجازتي واستجمامي في جزر الهاواي من أجله. صفّق له جلّ ملوك ورؤساء العرب بحرارة مرتفعة وعلت أصواتهم بالحمد والشكر لله تعالى على حكمة العاهل السعودي ودعوا له بطول

العمر، غير أنّ رئيس مصر لم يعجبه الأمر، وبعد إنهاء تلك الوصلة الكلامية المحمّلة بالنفاق وقف متحدّثًا: إنّ عرضك وإن كان سخيًّا فإنه في غير محله، أين أنتم من مجاعة الصومال؟، أين أنتم من المشرّدين والمهمّشين العرب في كلّ مكان؟، أين أنتم من القضايا الإسلامية الحقيقية، فلسطين وأقصاها؟، غزّة المحاصرة؟، الجنوب اللبناني الملتهب؟، الحدود السّورية الضائعة؟، ومع ذلك فالمسلمون هم آخر اهتماماتكم، والغرب وعلى رأسه أميركا التي تساعد إسرائيل على القتل والظلم والعدوان في كلّ مكان في العالم ترحّبون بهم وتفتحون لهم أبواب أراضيكم وخزائنكم على مصراعيها. أتدرون لم يعاني العالم من الظلم والدمار أمثال هذا المجرم القاتل الذي يهدّد أمنه وأمانه؟، لأنه مليء بالجبابرة والقتلة الأكثر شرًّا من هذا المجهول لكنكم تغضّون الطرف عنهم لأن معهم صكّ الشّرعية. لن يتمّ التعامل مع هذا المجرم كما تفضّل وقال الملك صاحب آبار النفط، جِدوا له حلًا علميًا، قفوا على أسباب هذه الظاهرة قبل فوات الأوان، فهذا هو الصّواب.

يصفق له بحرارة جلّ رؤساء دول العالم وليس العرب فحسب، يغتاظ ملك السّعودية مما حدث فيقول رئيس مصر: تتكلم وكأنك تملك حلولًا مناسبة للمشكلة أو كأن الكارثة حين تقع لن تطال بلادك. يتمالك السعودي نفسه ويردّ بكل ثقة: بلدٌ حفظه الله في كتابه لن يجرؤ أيّ مخلوق على تدميره، ألست مؤمنًا بكلام الله..؟.

الفصلُ الخَامِس عَشَر

يتمّ القبض على البروفيسور "سول" بعد توجيه تهم عديدة إليه، القتل وتهديد الأمن السِّلمي للولايات المتّحدة الأميركية وفرنسا ودول العالم بأسره.

يندهش سول من الإشارة إليه بأصابع الاتهام وقد عقدت المفاجأة لسانه فلم يتمكن من النّطق بأيّ حرف للدفاع عن نفسه أو توضيح الأمر الملتبس عليهم، خاصّة حين أطلعوه على التسجيل المرئي بصوته وصورته وهو يستفزّ الحضور ويهدّدهم ويسخر منهم. اجتمعت ضدّه كافّة الأدلّة وخُيّل للعالم أنه سينتهي أخيرًا من شروره ومخطّطاته. يقرّر الرئيس الأميركي زيارته في السّجن فيسأله بلهجة المنتصر: ألهذا أردت أن ترأس فريق تقصّي الحقائق؟، لتطمس الأدلة فلا تنالك يدُ العدالة؟.

يردّ البروفيسور منكسرًا: هذا هراء وعليكم أن تواصلوا البحث لاكتشاف الحقيقة كاملة ومعرفة هذا المجرم المجنون قبل فوات الأوان..!.

الرئيس: يا إله السّماء!، مازلتَ ترغب في الاستمرار في الكذب وإنكار الحقائق. كلّ الدلائل تؤدي إليك، كيف تدافع عن نفسك وتردّ التسجيل الذي رأيته؟.

سول: لا تضيّع الوقت أرجوك، عليك اللحاق بالمجرم قبل أن ينفّذ تهديداته.

الرئيس: أستغربُ من براعتك وتمكّنك من خداعنا جميعًا، وأنّى لك هذه القوة الخارقة!، هل تتصل بعالم الجنّ وتسخّرهم لخدمتك؟، أم تستخدم الفضاء والكواكب الأخرى؟، هل أنت نبيّ مزيف تقودك الشياطين؟، أم أنك الشيطان بذاته متجسّدًا في صورة إنسيّ؟، أجب سؤالي ولا تجبرني على اللجوء إلى وسائل أخرى لا أحبّها لانتزاع الردود منك.

سول: العقل يقول أيها الرئيس أنني لو كنت هذا الشّخص الذي يهدّد العالم بالزوال ولديه هذه القوى الغريبة لما تمكّنتم من القبض عليّ وسحلي إلى هنا، لاستطعت الهروب ببساطة أو الاختفاء فلا تعثرون عليّ، ألا توافقني الرأي؟.

صمت الرئيس الأميركي ثم استدار خارجًا من الزنزانة القميئة الضيقة وذهب للقاء رئيس جهاز الموساد على انفراد الذي أبدى استعداده الكامل للمساعدة في اعتقال المجرم بدل أميركا ليرفع عنها المسؤولية الجنائية ولا تكون في الواجهة، خاصّة بعد أن قام العلماء الآخرون بدفع القضية إلى منظمات حقوق الإنسان مدافعين عن البروفيسور سول لتبرئته معتمدين على عدة أمور. أولها أن البرفيسور رجل كبير طاعنٌ في السنّ لا يقوى على الحركة وأحيانًا الكلام إلا رمزًا بينما هذه الأمور لا يقوم بها إلا من يتمتع بصحّة جيّدة وقوّة غير عاديّة. كان سول أيضًا وقت ارتكاب الجرائم إما في معمله وسط الفريق البحثي أو في الجامعة بين طلابه أو في بيته بين زوجته وأولاده، فكيف يمكن أن يتواجد في عدة أماكن في الوقت نفسه؟، ومن يكون ذلك الذي انتحل صورته في التسجيل وهو يقوم بحركات شبابيّة؟، كما أن سيرة البروفيسور وتاريخه المهني يشهدان له بالقلب بالطيّب والخُلُق الحسن فكيف ينقلب فجأة إلى شرير يريد للأرض الهلاك؟.

يرفض الرئيس الأميركي عرض رجل الموساد غير أنّ الأخير أصرّ على موقفه فكان في نيّته التعرّف على سول والبحث عن سرّ قوّته التي يستطيع من خلالها صناعة الأسلحة المدمّرة والغازات السّامة فيحقّق سبقًا عالميًا في ترسانة السلاح الصهيوني ليسيطروا من خلالها على مصائر العالم والشعوب ويشكّل تهديدهم للعالم نقطة قوّة ومركز تحكّم بالجميع. انصرف من الاجتماع خائبًا دون أن ينال موافقة الرئيس، عاد إلى بلاده وأخذ يخطط لأكبر عمليّة اقتحام للسجون الأميركية يخلّدها التاريخ دون أن يترك أيّ ثغرة في العمليّة يمكن أن تكشف هويتهم فيغضب بذلك أبناء العمّ سام ويحرمونهم الدعم الماديّ والعسكري والاعلامي.

يظهر ترانس فجأة وهو ينوي زيارة البروفيسور في زنزانته متخفيًا، فيهبط عليها متجسّدًا في أشعّة الشمس الذهبية، تلك الخيوط الرفيعة التي بالكاد تجد ثقبًا صغيرًا لتمرّ منه. لم يقم البروفيسور بأيّة حركة لأنه لم يشعر بوجوده أصلًا..! ومن جهة أخرى قواه خارت وقدراته ضعفت نتيجة إضرابه عن الطّعام. تمنّى في قرارة نفسه الموت بعد أن صدمه تعامل الآخرين معه فهذه نهاية لم يكن يتوقعها كمقابل للخدمات الجليلة التي قدَّمها للبشرية وما هكذا أراد أن يتمّ تخليد ذكراه.

اقترب منه ترانس، هزّ كتفه بقوة لكنّ سول لم يستجب إذ كان مستغرقًا في نوم عميق يغوص في أفكاره المتخبّطة، بدا وكأنه يحتضر، مرحلة من النوم المؤلم اختارها بكل طواعية غير مبالٍ بما هو قادم لأنه واثق أنّ الله العادل سيجازيه خيرًا على ما فعل، مرحلةٌ رغم اختياره لها بإرادته إلا أن ما يحزنه هو موته بهذا الشّكل مظلومًا منكسرًا مقهورًا. يلامس وجهه المتعب خيوط من عطرٍ أشبه بالذي استخدمه ترانس في تهديد مجلس الأمن غير أنه هذه المرّة كان أصفر اللون كحبّات

القمح بينما كان الآخر رماديًّا كالحطب بعد أن تنهشه النيران فلا تُبقي منه ولا تذر. أعاد إليه ترانس جزءًا من الحياة، ففتح سول عينيه ليرى نفسه واقفة أمامه..!

تسمّر ترانس في صورة سول لا يأتي بأي حركة، لكنه لا يفعل مثله حتى لا يبدو له أنه شبح أو يظنّ أن انفصامًا ما قد أصابه في هذه السنّ المتقدمة فتتدهور حالته الصحيّة أكثر، كما أنّ البروفيسور كان ذا ذاكرة قوية وواثقًا أنه ما من مرآة في هذا المكان، فشعر بأنّ هذا هو المجرم الذي استنفر كلّ القوى للبحث عنه، استجمع قوّته ونطق أخيرًا فقال: إذن، أنت هو الشخص المطلوب للعدالة، حدّثني كيف دخلت إلى هنا؟، يبدو أنك تملك قوّة خارقة كما توقعت..!.

ترانس: أنت بروفيسور حقًا..!، ليت يكون في عالمنا الكثير أمثالك لتفوّقنا على الكون برمّته، ولهذا لا يقدّرك أهل الأرض لأنهم لا يعرفون قدرك وعلمك وإمكاناتك أمَّا أولئك الذين يعرفون ظواهر النفس ويتوقعون ردود أفعالها قبل حدوثها، والمفكرون الذين يفتحون للعالم آفاقًا جديدة، فلولا وجودكم بينهم ما كانوا ليصلوا إلى أي تطوّر.

قاطعه سول قائلًا بوهن: لا تلقِ عليّ محاضرة فلسفية الآن أنت لا تستوعب كلماتها..!، فلولا أمثالكم أنتم أهل الشرّ والجبروت أعوان الشياطين لعاش العالم في سلام وأمان، ثم كيف تفعل هذا كله؟، تصغِّر وتكبِّر وتنتحل الشخصيات؟، أأنت مارد أو شيطان مريد..؟!.

يضحك ترانس مقهقهًا ثم يجيب: رويدك أيها البروفيسور، لا تتعجل الحكم عليّ، ستعلم عني كل شيء في أوانه فأنا أريدك أن تنضمّ إليّ.

الفصلُ السَّادس عَشَر

تنتهي إجازة لوجين وكان ينبغي عليها أن تعود من فرنسا قبل موعد انطلاق الرحلة التكميلية الاستكشافية لآخر ما توصّلت إليه، إلا أنها لم تعد حتى صباح اليوم المقرّر لها فيه أن تخرج من الكرة الأرضية إلى الفضاء.

مرّ الوقت واضطر مدير الوكالة تأجيل الرحلة أسبوعًا آخر لحين عودتها وبحث الأسباب التي دفعتها لذلك، وكان هذا آخر موعد لها فإن لم تعد أُسندت المهمة إلى شخص آخر ولو كان أقل كفاءة منها. تدخَّل سهيل من أجل إقناع المدير للصبر عليها أكثر موضحًا له أنها ليست متغيبة بإرادتها بل مفقودة في مكان غير معلوم، وأن الأمر لا يبدو طبيعيًا إنما مثير للشك والريبة، وبدل التفكير في الرحلة يجب التفكير فيها والتأكد من سلامتها كونها فردًا من الفريق المستكشف، ولا يكفي أن تتحرك الوكالة وحدها بل الولايات المتحدّة كلها للبحث عنها.

تأثر المدير قليلًا بكلام سهيل لكنه لم يبدِ أيَّ اهتمام بشأن حقيقة تعرضها لخطر كونه مطّلع على سيرة حياتها المليئة بالتفاهات رغم نجاحها. فأجاب: كلنا يعلم وأنت أكثر دراية منَّا أنها إنسانة غير مبالية في حياتها وهذا يؤخذ عليها ولا أعرف كيف يمكن لهذه الفوضى أن تؤدي إلى النجاح، فلا أظنها في خطر بل هي إحدى مغامراتها التافهة، وبناء عليه سأمنحك خمسة أيّام فقط لتعثر عليها في فرنسا وتحضرها بنفسك، قد تكون في إحدى الحانات تحتسي الشراب بشراهة كعادتها أو ترقص بجنون في أحد الملاهي وقد نسيت حياتها وواجباتها الأخرى.

جدها يا سهيل وإلا لن تعود إلى عملها، سأفصلها من الوكالة مهما يكن اسمها بازغًا، لا أريد للفوضى أن تعيث فسادًا في الوكالة فنخسر إنجازاتنا.

وافق سهيل وسافر إلى فرنسا على الفور يحمل على عاتقه مسؤولية إعادتها وبداخله ذلك الإحساس الذي لطالما عمل جاهدًا على أن يُشعرها به، إلى جانب فضوله وتوقه لمعرفة السرِّ الذي لم تبح به زوجته وكتمته في نفسها ظنًّا منها أنه على علم بكل شيء وهو يصطنع عدم المعرفة ليبرّئ نفسه. أمور كثيرة كانت تدفعه بشدّة لإيجادها بأي ثمن رغم أنها ما أشعرته يومًا بأي اهتمام يذكر كحبيب أو حتى صديق ورغم ذلك لم يكرهها ولم يتردّد لحظة في تولّي مهمة البحث عنها إذ كان يكنُّ لها حبًا عظيمًا، ومن يحبّ لا يمكنه أن يشعر بالكره أبدًا.

بحث عنها في الأماكن التي تتردّد عليها دائمًا فلم يجدها، سأل عنها في الفنادق والمساكن الخاصة فلم يجد شيئًا، ذهب إلى القنصلية الأميركية فأخبروه أنهم لا يعرفون عنها شيئًا بعد وصولها إلى هناك. ذهب إلى الجالية الأميركية هناك والتقى رئيسها علّه يدلّه على خيط يوصله إليها فلم يفلح. سأل في المستشفيات وأقسام الشرطة فربما تعرّضت لحادث أو وقع لها مكروه أو ربما حماقة ارتكبتها في إحدى سهراتها الماجنة، لكن جهوده ضاعت سدى ولم يعرف عنها أحد أيّ شيء وكأن الأرض انشقت وابتلعتها أو كأنها شبح جاء إلى المدينة يتنقل بين الناس دون أن يتعرفوا عليها أو يروها.

حلّ المساء، وكان سهيل مازال يواصل البحث بشغف وشوق دون كلل أو ملل. شعر بالتعب أخيرًا فقرر أن يرتاح ليتابع مسيرته في اليوم التالي

ويبدأ في مناطق جديدة في أنحاء باريس قبل الانتقال إلى غيرها من المدن. وفي الصباح، خرج من الفندق الذي أقام فيه ليحتسي قهوته أمام برج إيفل في إحدى المقاهي المطلّة عليه. ما إن جلس مستمتعًا بالمناظر الأخّاذة حتى ثارت الأشجان بداخله شوقًا إلى لوجين وحزنًا عليها، يتوق إلى وجهها، يتمنى لو يراها أمامه في هذه اللحظة فينتهي كل ذلك. وقبل أن يفرغ من آخر رشفات في الفنجان، اقتربت منه امرأة طويلة تضع نظارة سوداء قاتمة تخفي عينيها ونصف وجهها، وعلى رأسها قبّعة انجليزية كبيرة بنية اللون كقبعات الملكة إليزابيث، ترتدي فستانًا أبيضًا ضيقًا وفي وسطه حزام بني، ألقت التحيّة بالفرنسية واستأذنته بالجلوس إلى الطاولة. أذن لها بالجلوس دون أن يبالي بها، فالمكان مزدحم يعجُّ بالسائحين من مختلف الجنسيات وأهل البلد ولم يكن هناك أماكن شاغرة أخرى.

كان مستغرقًا في التفكير بطريقة يصل بها إلى لوجين، فلم يهتم بالمرأة أو يدقق النظر إليها. راح يتفحّص خريطة المدن الفرنسية يشير بقلمه الرصاص على الأماكن التي سيزورها أولًا فلا يكون عمله عشوائيًا ويفشل في مهمته. وبينما هو على تلك الحالة، حدث فجأة أمر غير متوقع!، مالت إليه المرأة التي بجانبه وهمست برفق: أحبّك منذ زمن ولا ترى ذلك، أتوق إلى نظرة منك ولا تبالي، أنتظر اللحظات التي تُقبل فيها بشغف ولا تعرف ذلك. ثم صمتت لدقيقة هي الفارق الزمني بين إهماله لما يسمع وبين التفاته إليها، فقد ظنها تتكلم في الهاتف مع شخص آخر، إلا أنه استوعب الموقف حين استرسلت متابعة: نعم، أنت هو من أبحث عنه... فلا تتجاهلني أرجوك! ألقى ما في يديه على الطاولة، اهتزت

محتوياتها ومال كأس الماء فبلّل الخرائط أمامه ولم ينتبه إلى ذلك بعد. رفع رأسه إليها، دقّق في وجهها دون أن ينبس ببنت شفة، فقالت: لا تطِل النظر ولا تمعن البصر، نعم أنا هي التي بداخلك وتعشقها حتى النخاع..!

قال مبتسمًا: سمعت أنّ في فرنسا أصل الجمال وقرأت أنها تولّد الحسن وتعتني به، لكني لم أعرف قط أن نساءها الحسناوات أو الزائرات يغتال عقلهن الجنون.

ضحكت ضحكة طويلة بصوت عالٍ جعلت من حولها يلتفت إليهما، همّ في مغادرة المكان غاضبًا، أمسكت بيديه، خلعت نظارتها الشمسية ليرى ملامح وجهها، فعقدت لسانه الدهشة!.

الفصلُ السَّابع عَشَر

استطاع رجال الموساد الإسرائيلي اختطاف سول البروفيسور من السجون الأميركية بطريقة بدت للمسؤولين الأميركيين والرأي العام العالمي والمحلّي أنها طبيعية، وأكّدت أيضًا كل الشكوك حوله أنه شخصية خارقة شريرة ترغب في زوال العالم، وأنّهم حتمًا لن يتمكنوا من القبض عليه، وقد أصبح الجميع بذلك غير متعاطفين معه، يكرهونه ويحقدون عليه، حتى الفئة القليلة التي كانت تدافع عنه تحولت إلى أخرى مهاجمة وبشراسة.

كانت الخطّة تقضي بمساومة جميع ضباط وجنود الحراسة على إطلاق سراح البروفيسور مقابل مليون دولار للضابط وعشرة آلاف للجندي، ومع ذلك لم يتم الاتفاق على تلك الصّفقة لولا تدخّل مجنّدات الموساد في الأمر وقضاء ليالٍ حمراء مع الرؤوس الكبيرة المعنية بالأمر ما سهّل الموضوع أكثر بسبب جمالهن وتدريبهن في جهاز الموساد على مثل تلك المهام لإقناع المتعنتين وتذليل العقبات. وبمجرد أن تمّ تهريب سول على متن طائرة دبلوماسية إسرائيلية بجواز سفر صهيوني مزور، تحولت النساء أنفسهن ذوات الغنج والدلال والفتنة والجمال إلى وحوش كاسرة بعد أن أدّين المهمّة وتأكدن من نجاحها، فانقضّت كل واحدة على أحد الرؤساء الذين عاونوهن لتقتله وبذلك لا يتركن أيّ خيط يشير إليهن في التحقيقات.

تمّ استقبال سول في القدس ورحّبوا به أيّما ترحيب، تلك البقعة التي يسيطرون عليها ويحتلونها وينتهكون حرمتها على مسمع ومرأى من العالم كله.

كرّموه كما لو كان أحد رؤساء الدول العظمى، اختاروا أن يستخدموا معه سياسة اللين والكرم بعكس طبيعتهم التي تميّزهم بالشدّة والحزم والدموية التي يلجأون إليها في التعامل مع خصومهم، وقد انتهجوا ذلك معه أملًا ورغبة منهم في أن يتمكنوا من إقناعه بالكشف عن أسرار ومكامن قوّته الخارقة ليستغلوها بدورهم في خدمة مآربهم وأهدافهم الحقيرة وصنع ترسانة تفوق أشد ترسانات العالم قوة وتدميرًا وفتكًا بما فيها قاعدة الأسلحة الأميركية، الأب الراعي لكل ما يملكون من تقدّم تكنولوجي ولا يبخل بمدّهم بآخر الأسلحة المتطورة إرضاء للّوبي الصهيوني على أراضيها، وترسيخًا لمصالحها في الشرق الأوسط كشوكة شيطانية سامّة مزروعة في ظهورهم لا يمكن اقتلاعها في ظلّ ضعف ووهن دول الشرق الأوسط التي يخشون دائمًا من نهوضها من حالة السّبات العميق التي تعيش فيه، وعلى رأسها مصر.

لم تفلح معه كل هذه الأساليب وما أجاب به الأميركان ردّ به على الصهاينة قائلًا لهم أنه ليس إلا شخصًا عاديًّا لا يقوى على السير على قدميه لعشر دقائق متتالية كونه شيخ كبير. لكنهم لم يصدقوا قوله، وكما فعل معه الأميركان، أظهروا له وجههم الآخر الذي يقطر قبحًا وكرهًا، واستخدموا معه أساليب أشدَّ عنفًا، فوضعوه في زنزانة ضيِّقة بالكاد حشر نفسه فيها، أخذوا ينكِّلون به ويضربونه ضربًا مبرحًا علّه يعترف بشيء يفيدهم عندما يرى شبح الموت يدنو منه.

استغلّ ترانس هذا الأمر ولم يضيّع الفرصة من يديه، فوظّف الموقف لصالحه ليكمل مخطّطه الذي يعتمد عليه في إبعاد الشّبهات عن نفسه لتبدو

الحوادث التي تقع على يديه أمرًا طبيعيًا بفعل بشريّ وتنسب بذلك إلى البروفيسور الذي كان اختطافه بمثابة انعطاف كبير في حياته التي أوشكت على الانتهاء معذَّبًا في السجون الاسرائيلية. راح ترانس يوغل في القتل والتعذيب والتنكيل تعاونه على ذلك نيفرتي تاركًا بوجلو وماجلو مع لوجين بعد أن استأذنها في الذهاب لشراء مخزون من الطعام، وعندما أصرّت على مرافقته إلى السوق، تحجّج بأنها ضيفة عنده ومن غير اللائق أن تذهب معه، فقبَّل جبينها وقال برقَّة: ساعة واحدة يا حبيبتي ونعود، لا داعي لإرهاقك ويكفي عليك ما مررت به من ضغط نفسي، استمتعي بوقتك وحاولي الاسترخاء في هذا المكان.

وبالفعل، عاد إليها في الموعد المحدَّد بالضبط، ساعة مرّت على المدينة الفرنسية "نيس" كأنها ستون عامًا من الجحيم. نزل فيها ترانس وهو ينوي النَّيل من كلِّ نسائها دون التمييز بين صغيرة أو كبيرة أو طفلة، وقصدت نيفرتي الرجال غير مبالية بشيخهم الكبير أو طفلهم الصغير، قاما بإغواء الجميع في وقت وجيز عبر إرسال إشارات كهرومغناطيسية إلى عقولهم تشعرهم بأعلى مراحل النشوة، فتعرّوا جميعًا بلا وعي واتجهوا إلى بحيرة قريبة تملؤها أسماك متوحشة وسامَّة.

الخارج من بيته أو عمله، السائر في الشارع أو في نزهة، الجالس متعلِّمًا أو معلِّمًا في المدرسة أو الجامعة، كلٌّ اتجه إلى الشاطئ طواعية، عارٍ مسبهل العينين، يصدرون أصواتًا تخدش الحياء!. دخلوا في البحيرة واحدًا تلو الآخر والأسماك تتلقفهم متلذِّذة بهذا الصيد الثمين، تلتهم أجسادهم وتقطّعها إربًا إربًا والمشهد لا يؤثر فيهم أو يردعهم. وقف ترانس قريبًا من المكان يستمتع بمشاهدة المنظر الدامي وهو يقهقه بهستيريا عالية، نيفرتي أصابها الإعياء فلم تكن تتوقع أنّ

الأمور ستصل إلى هذا الحدّ من الوحشيّة والعنف، انهارت أرضًا وخارت قواها، خافت من ترانس على نفسها، نظرت إلى السّماء برجاء تبتهل إلى الله الذي قد ينزل لعنة عليهما في أيّ لحظة جرّاء فعلتهما هذه. ما إن فرغت الأسماك من التهام البشر حتى سخّن ترانس المياه لدرجة الغليان فذاب كل ما في البحيرة وتحوّلت إلى بقعة دماء بشريّة وحيوانيّة تغلي وفقاعات حمراء تتصاعد منها.

طلب ترانس من نيفرتي التزام مكانها ليذهب هو إلى سجون إسرائيل لإحضار البروفيسور خلال لحظات. لم تردّ عليه إذ فقدت وعيها ولم تعد تشعر بما يجري حولها. عاد في لمح البصر إلى المكان برفقة سول، كان على وشك الاحتضار من آثار التعذيب الذي لقيه في الزنزانة، حمله ترانس من عنقه وهو غاضب منه، أشار بيده إلى البحيرة الرهيبة وهو يقول: انظر إلى هذه البقعة أمامك، كانت بحيرة لطيفة، يزورها الناس للتنزه والترفيه عن أنفسهم فظاهرها خلّاب وإن كان باطنها موحشًا، حوّلتها إلى قطعة من جحيم. يمكنني أن أقذفك فيها الآن لتنعم بحمّام دافئ لم تذق مثله في حياتك، لكنني أمهلك فرصة الموافقة على عرضي والانضمام إليّ للعثور على ما أريد..!.

زاغ بصر البروفيسور ودنا منه الموت حتى وصلت روحه إلى حلقومه، فلفظ أنفاسه الأخيرة ومات متعبًا مخنوقًا متأثّرًا بما جرى له طيلة الأيام الماضية وكانت قبضة ترانس القويّة سببًا في تعجيل نهايته. لم تتمالك نيفرتي نفسها فصرخت في ترانس، التفت إليها وسَحَرها مجدّدًا ليسيطر على عاطفتها وتعود شرّيرة كما أراد. بصق على البروفيسور ثم ألقاه إلى البحر ليذوب جسده في حرارة الماء الملتهب قائلًا بشماتة: إلى الجحيم غير مأسوف عليك..!.

عادا إلى الكوخ وهما يحملان الأطعمة، ركضت لوجين نحو ترانس تحتضنه، قدّم لها وردة حمراء قائلًا بصوت رقيق وعينيه تبرقان بدهاء: أجمل وردة لأجمل امرأة في الكون. تأخذها وتهمّ في تقبيل يده التي حملت إليها الوردة، فتندهش لرؤية آثار الدماء يلوّث أحد أصابعه، تسأله بضيق: ممّ هذا..؟.

يجيبها ويحاول أن يداري ابتسامته: لا تخافي يا عزيزتي، مجرّد شوكة لعينة انغرست في إصبعي وأنا أقطفها لك. لا تملك لوجين غير التصديق، تضحك بسعادة ثم تمسك يده بحنان وتقبّل جرحه لتشفيه.

الفصلُ الثَّامن عَشَر

غابت عن ناظريه في الزحام غير أنه لم ييأس في العثور عليها خاصّة بعدما دفعته مايا للتحرّر من خجله وضرورة الاقتراب من الفتاة بسرعة والبوح بما يختلج في صدره لها من مشاعر نبيلة تولّدت من هذا الإعجاب الذي انبجس من روحيهما وقلبيهما فلم يتمكنا من منعه أو حجبه.

كان حبًّا ظاهرًا غير خافت، النظرة كسهم مسنون اخترق حصون كليهما واستقرّ في هدفه دون إبطاء، إنما بثبات وإتقان كضربة من يدّ قويّة لا ترتجف خوفًا أو ترتعش من التردّد وعدم الثقة، نظرة لم تعتريه من قبل فبات لها أسيرًا يبحث عن خلاصه بمداواة جرحه، يُتبعها بلقاء وتعارف وإن كان غير منطقي كي لا يكون نصيبه كما أوضحت له مايا في المستقبل إن لم يحصِّلها ويسألها عن أبعاد هذه النظرة وزواياها في عالمها الذي مايزال يجهله وقد أوشك على اقتحامه، فيُقدم بكل ثبات لئلا يندم.

ذهب وراءها وبحث في كلِّ الاتجاهات التي يمكن أن يجدها فيها مقتفيًا أثر ذلك الفوج الذي اختفت فيه، قصد شارع الصَّاغة "المعزّ لدين الله الفاطمي" مشى حتى آخره فلم يجدها، عاد إلى الوراء ودخل الجامع الأزهر وبحث حوله فلم يعثر لها على أثر، انعطف يمينًا على "الغوريَّة" ومضى يفتِّش في الشارع حتى وصل إلى الأزقة والبيوت المتهالكة، تجاوز المحلات التجارية، اتجه إلى العتبة فربما ذهبوا إلى سوق الملابس والألعاب أو أرادوا زيارة مسجد "السُّلطان

حسن" الأشهر في هذه المنطقة بل الأجمل فيها، ثم قفل عائدًا إلى "الدَّرَّاسة" وهو آخر ما فكّر فيه لعلهم فضَّلوا التجول في حديقة الأزهر. باءت كل محاولاته بالفشل وكأن الأرض ابتلعتها فالوقت الذي قضاه متحدثًا مع مايا لم يكن كبيرًا بحيث يسمح لهم بالذهاب بعيدًا خاصّة وأنهم غرباء سائحون يراقبون المعالم على مهل مما يبطئ من حركتهم. تعب من البحث لكنّه لم يفقد الأمل، عاد إلى حيّ السيد الحسين، جمع أغراضه من الطاولة الخشبية الصغيرة التي يفترشها بالسواك والسبح والبخور الذي يحصّل قوت يومه من بيعها. فكّر في الذهاب إلى بيته لكنه تراجع، اقترب من الحافلة التي أقلّت الفوج ونزلت منها الصبيّة، أخذ يُمعن النظر داخلها كأنه ينادي عليها أو يستحضرها أمام عينيه جالسة على أحد المقاعد. قرّر أن ينام أمام السيارة الكبيرة على أمل أن تعود من جولتها دون أن يضع في حسبانه أن مكان إقامتها المؤقت قد يكون قريبًا من هذا المكان ولن تتحرك الحافلة من هنا لفترة طويلة..!

افترش الأرض ولم يبالِ بأي شيء حوله ما عدا صورتها ونظرتها. استلقى كأنه أحد هؤلاء الشحّاذين الذين يملؤون ساحة المسجد داخله وخارجه، أشكالهم متعدّدة، منهم مقطوع اليد أو مبتور القدم، أو مفقوء العين، بعضهم في حاجة حقيقية للمال والآخر اتخذها مهنة متكاسلًا عن الكسب الحلال والتعب والشقاء لحفظ ماء وجهه والحصول على ما يسدّ به رمقه وجوع أسرته المشرّدة مثله في الشوارع وعلى الأرصفة. ها هو قد بدا يشبههم رغم إرادته لسويعات قضاها نائمًا بعدما أخذ منه التعب كلّ مأخذ حتى بزغ الفجر في السماء وتعالى نداء الحقّ محفّزًا على العمل والقيام ليكافئ الله عباده العاملين وينزل عليهم

الهدى والرحمة، السكينة والطمأنينة، ينضح من وجوههم النور، مرسّخًا في قلوبهم القناعة والألفة وحسن الظنّ به.

نهض من نومه مسرعًا على صوت الأذان، صلّى ثم عاد إلى مكانه ينتظرها، وخزه الجوع، أراد أن يأكل شيئًا فهو على هذا الحال من البارحة، حرّك معطفه الذي كان متلحفًا به فلم يجد نقودًا، نظر حوله أرضًا فوجد بعض القطع الفضية تركها له المارّون صدقة. أخذ يجمعها فلفتت نظره ورقة بيضاء صغيرة ذات رائحة زكية مربوطة بشريط أحمر وفي الفراغ رُسِم قلب صغير أنيق يشقُّ وسطه سهم وفي آخره كُتِب "ريتا".

اندهش كثيرًا، طار من الفرح غير مصدّق نفسه، اغتالته السّعادة، رمى النقود أرضًا، فتح الورقة بلهفة وسرعة جنونيّة كما لو كان ينتظر خطابًا من حبيب مغترب. قرأ كلماته الرقيقة ولم تكن تعرف بحبّه بعد، لكنَّ ما كان مكتوبًا بخطٍّ ساحرٍ صغيرٍ منمَّق جعله طائرًا يحلِّق في سماء الكون لاهيًا مع الكواكب والنجوم، ناسيًا أنَّ ما حوله من البشر يحتِّم عليه الاتزان والتعقُّل كي لا يظنوه مجنونًا، مكتوبٌ لا يتحمَّله عَقلُ عاقِلٍ ولا قلبُ محبٍّ حالمٍ يحمل للدنيا مودَّة كما قلبه، وقد كان كالآتي بعد العطر والفراغ، أخذ يقرأ بسرعة عالية تفوق سرعة قراءته لأرقام النقود الورقية، عيناه تتحرّكان في شوق ونهم لقراءة الحرف تلو الحرف والكلمة تلو الأخرى، والجملة عقب مثيلتها، يريد أن يعرف خلاصة الخطاب علَّ فيه لقاء يجمعهما. قرأه عدَّة مرَّات وفي الأخيرة تلاه بصوت مسموع كأنه شاعر يلقي قصيدة ما استرعى انتباه الباعة الذين يعرفونه والمارَّة من السائحين وروَّاد المنطقة، فتجمَّعوا حوله دون أن يدري أو يشعر بهم وهو منسجم في الكلمات حدَّ الدهشة يقول:

"من ياسمينة الشَّام الفتاة السُّورية ريتا إلى الشَّاب المصريِّ الأكثر وسامة في تاريخ عمري والأشدّ جاذبية منذ أن عشق الحياة قلبي، والأكثر شهرة في عالمه الصغير الذي به يصبح كبيرًا..

إلى صاحب أوّل نظرة تجعل قلبي مرفرفًا مخلوعًا من مكانه كما لو أنَّه طيَّارة هوائية تتحكم فيها يداك. قلبي الذي لم يدق نابضًا هكذا منذ تكويني في أحشاء أمي كما لو كان ألف ألف ناقوس حرب عمل بقوَّة في أرض المعركة، ما بين يديك هو نصف خطاب حتى أنك ستجد الورقة قصيرة غير مكتملة. قبل ساعات حين كنت تبحث عني ولم تجدني، لأني ببساطة كنت أراقبك وأسير خلفك، أتحسَّس حبَّك لي وأختبر صِدقه. وافِني في تمام التاسعة صباحًا في هذا اليوم عند الهرم الأكبر لنستكمل الأمر".

ريتا

الفصلُ التَّاسع عَشَر

وجد سهيل نفسه أمام لوجين حين أزاحت النظارة الشمسية عن عينيها. للوهلة الأولى، ظنَّها مجرد خيالات من اللاوعي عنده صوَّرها عقله ووُجدانه ليَحول بينه وبين رؤية الواقع الملموس، فيجعله مصابًا بهوس ما هو غير محسوس، معلَّقًا بلوجين يرى صورتها في كل شيء أمامه حتى النساء الغريبات اللاتي لم يسبق له أن التقاهنَّ من قبل. صمت للحظة، أمسكت إحدى يديه وزادت جرأتها وحركتها وبسمتها، أمسكت باليد الأخرى ثم أفلتت الأولى لتضع يدها على فمه فقد همَّ في الحديث لما أصابه من دهشة وذهول.

بادرت بالقول محافظة على ابتسامتها: هوِّن عليك وارتح من عناء البحث، نعم أنا هي التي قطعتَ من أجلها الأميال وأتيت إلى عالم لا تعرفه كي تطمئنَّ عليها. أنا هي التي كنتَ تحبُّها منذ زمن وكانت تحبُّك أيضًا لكنها تكابر متَّخذة من الحماقة خليلًا. أنا هي تلك التي لطالما جاهدتَ من أجل أن تنال منها كلمة حبٍّ واحدة، تبوح لك الآن بحبِّها لك دون أيِّ ضغوط. أعترف لك بعد تجارب مريرة في الحياة أنك أنت الرجل الوحيد القادر على احتوائي وفهم مشاعري وتقديرها. نعم يا سهيل، إنّها أنا لوجين، صدِّق ذلك، وها أنا أرفع القبعة عن رأسي لترى لون شعري الذي تحبّ، فاقترب من عينيَّ أكثر لتتعرف عليّ، إنها أنا لوجين، وهذا وجهي تحسَّسه بيديك التي طالما حلمتُ أن تضمَّاني في لحظات الضعف والبرد. ظلَّ سهيل متجمِّدًا مكانه وقد أخذه الذهول ليس لكونه لا

يعرفها أو لم يتعرَّف عليها، إنما لم يكن ليتوقع أن تعثر عليه هي وبهذه البساطة بعد ما بذله من جهد جهيد ليستدلَّ عليها.

عاد إلى رشده، تأكد أخيرًا أن ما يراه أمامه ليس حلمًا، إنها لوجين بملامحها التي لا تغيب عنه ومشاعره بدأت تتحرَّك تجاهها لتؤكد شخصيَّتها عبر كلماتها الآسرة والساحرة، ونظراتها الفاتنة. قام منتفضًا من مكانه دون أن يلتفت إلى الكأس الذي وقع أرضًا وتكسَّر مُصدرًا ضجيجًا مزعجًا. لم ينتبه على نفسه إلا وهو يرتمي في حضن لوجين بقوَّة كطفل صغير وجد أمَّه الحنون بعد أن أضاعها. لم تتوقع لوجين أن يُقدم سهيل على مثل هذا العمل الطفولي خاصَّة أنهما في مكان عام، غير أنه لم يبالِ بكلِّ ذلك وانفصل عمَّا حوله متمسِّكًا برغبته القوية في ضمِّها إليه، ولم تجد نفسها بعد أن كانت متحرِّجة من معانقته بعنف إلا أن بادلته ذلك وأكثر، فأدنته منها في راحة واطمئنان. شعرت في صدره بحنانٍ لم تشعره من قبل قط، ثم تراجعت إلى الوراء قليلًا لتنهال على فمه بقبلات متسارعة تحاكي تدفق المشاعر التي يؤجِّجها حنانه وحبَّه، أمرًا كان غائبًا عنها كل تلك المدَّة لم تختبر مثله مع أيِّ رجل من قبل.

تنتهي وصلة الوله والشوق، يطمئن كلٌّ منهما على الآخر، فتأخذه من يديه تمشي إلى حيث تريد أن تُشعره بحياة مختلفة للحظات قادمة تحمل لهما الكثير من الراحة والسّعادة. يذهب معها منساقًا خلفها بكلِّ طواعية فهذا حلمه قد أصبح أخيرًا بين يديه، لا يسألها عن المكان الذي يقصدانه ولا ينطق بأي حرف، يعيش اللحظة فحسب بكامل تفاصيلها، لا تسع الدنيا فرحته العظيمة وقد عقدت لسانه الدهشة وهو لا يصدِّق أنها أخيرًا معه يمشيان جنبًا إلى جنب ومشاعر الحبِّ ترفرف حولهما.

وجد نفسه أخيرًا في جبال الألب الفرنسية ذات الطابع المتنوع بيئيًا، فهي جليدية وصخرية وأجزاء كبيرة منها تغزوها الخضرة والحقول الجميلة المزروعة بالورد الجبلي النضر، وعيون الماء المنبجسة والمتفجرة من أماكن متفرقة في المكان.

دنا من سمائهم الليل، شعر بثقل في قدميه من تعب المسير، انتبهت إلى حاله، فأخذته إلى خيمة مصنوعة من القماش السميك نُصِبت على رأس تلة قريبة جدًا من أبواب السَّماء، تفصلها عن القمر أمتار معدودة، وبينها وبين الكواكب عشرات الأمتار. يشعر الواقف هناك كأنما ينتمي إلى الفضاء لا إلى الأرض، وعلى باب الخيمة الحريريِّ وضعت شعلتين يمنة ويسرة لا تنطفئان كأنهما شعلة أولمبياد أثينا اليونانية من آلاف الأعوام. ضحكت عليه مداعبة إياه، مؤلفة قصة خياليّة، فأخبرته أنّ تلك الشعلة لن تنطفئ حتى يوم القيامة لأن نارها من الشيطان، وكلّ ما هو شيطانيٌّ مُنظَرٌ تمامًا كما وعد ربُّ العالمين. فتح عينيه مذهولًا وكاد أن يصدِّق لولا أن قهقهت وفضَّلت أن تخبره بالحقيقة وأنّ الحكاية من نسج خيالها فحسب، فاصطنع ثورة مفتعلة ومال عليها يداعبها وظلَّا على هذا الحال حتى مرَّ من الليل ثلثه أو يزيد.

كانت قد أعدَّت له طعامًا فاخرًا، جلسا أمام الخيمة رغبة في تناوله بعد مضيِّ ساعات طوال لم يذوقا فيها شيئًا، تقابلا في جلستهما، يفصل بينهما موقدٌ فيه حطب. لمسته بإحدى يديها بخفَّة فاشتعل، لم يبالِ سهيل بذلك فقد شغله المكان عمَّا يحدث وسلب لبَّه. كانت تستغلُّ دهشته وذهوله لصالحها لتمحي كلَّ صورة سيئة عنها استوطنت نفسه، فنجحت في ذلك بمهارة عالية.

بعد العشاء، أظلمت المكان كلَّه ولم يبقَ غير نور القمر يتسلّل خجولًا لينير بعض الزوايا، وبريق النجوم يضفي على المكان شاعريَّة تضاهي الخيال. نهضا من مكانهما وجلسا على صخرة جليدية قريبة لم يشعرا ببرودتها لدفء الأحاسيس التي تجمعهما، وضع يده اليمنى على كتفها الأيسر، ثم سألها: أخبريني كيف فعلت كلَّ ذلك ومتى..؟.

ضحكت برقَّة مجيبة: من يحبُّ يفعل لحبيبه المستحيل.

سهيل: والنار، كيف أشعلتها بلمح البصر؟.

لوجين: أشعلها حبِّي لك والمشاعر الملتهبة بداخلي التي تدفعني تجاهك.

سهيل: بدا لي المكان كأنه فندق فاخر وهو ليس كذلك؟ فما السِّر يا تُرى؟!.

تردُّ لوجين بذكاء لتغيِّر الموضوع وتحوِّله إلى حيث تريد: أنت تحبُّ كوكب زحل كثيرًا وكم وددتَ الوصول إليه، ماذا لو نزل إليك ووقع بين يديك؟!. يضحك ساخرًا من خيالها الشَّاطح فتصغِّر الكوكب بقدرتها وتجذبه بسحرها حتى تحوَّل إلى كرة ثلجية صغيرة نزلت في راحتيه. ازداد تعجبًا والفرحة تغمره في الوقت نفسه، يلعب بالكرة قليلًا ثم تعيده لوجين إلى حيث كان، فسألها: أنَّى لكِ كلّ هذه القدرات؟ لا تقولي لي أنّ هذا أيضًا من أفعال الحبِّ وقواه الخارقة..!

نظرت إلى عينيه مباشرة فنسي أمر الكوكب ويديه الفارغتين وقالت: انظر إلى يديك يا حبيبي. نظر، وإذ به يرى كرة ثلجية صغيرة بدأت تذوب وماؤها

البارد يجمِّد يديه. رماها أرضًا فضحكت لوجين وهي تقول: هذا هو اللاوعي يا حبيبي، يعمل وبقوَّة، ما رأيتَه لم يكن سوى كرات ثلج تتساقط على يديك من ذاك الجبل، فلا تشطح بخيالك كثيرًا، من ذا الذي يمكنه أن ينزل كوكبًا من السَّماء ويدخله الأرض ويصغِّره ليكون في يد إنسان..!.

أومأ برأسه موافقًا وضحك من نفسه فرحًا، أمسكت بيديه ونهضا إلى الخيمة. وقف على بابها وهو يشعر بالحرج، فقال: سأنام في الخارج ويمكنك النوم داخلها. ابتسمت ابتسامة ذات معنى وقالت: بل كلانا سينام داخلها، أريد أن أعوضك عن كلِّ ما فات، من حقِّك أن تشعر بنفحات العطاء وعطائي لك لن يحدَّه حدّ.

وفي اليوم التالي، تناقشا بأمر العودة إلى الوكالة وأخبرها عن المدير والمهلة المحدَّدة لرجوعها، فاتفقا على أن يسبقها إلى المطار ثم تلحق به بعد أن تفرغ من إتمام بعض الأعمال. وفي الموعد المحدَّد، وصل مطار باريس وجلس ينتظرها، يعدُّ الساعات التي تمرّ دون أن تظهر، وجد القلق إلى نفسه طريقًا وغشيه الهمُّ لا يدري ما يفعل..!

الفصلُ العِشرون

يلاحظ العمّ إدريس تغيّر حال مايا من سرور وفرح إلى همٍّ ووجوم، فقرَّر أن يغيِّر تلك المدينة ويذهبوا إلى أخرى قد تعوِّضها عن ذاك الشعور الذي ضاع منها فجأة في الاسكندرية. وفي اليوم التالي، استقلَّ الجميع مركبة من نيل رشيد يقصدون مدينتي الأقصر وأسوان.

استغرقت الرحلة قرابة العشرة أيام، غمرت فيها البهجة قلب مايا فلم ترَ مثل هذا الجمال منذ أن خُلقت في هذا الكون، وكانت تردِّد على مسامعهما صباح مساء كلمات الشُّكر والثناء وتقول: يا الله، لا تدري أيها العمُّ الحنون كم كنتُ بحاجة لمثل هذه الرحلة والاستجمام بين الماء والهواء والسماء.

ردّ عليها العمُّ إدريس مبتسمًا: كلُّ هذا غير محسوب من الرِّحلة، إنه الطريق فحسب يا ابنتي، أمّا الرحلة الحقيقية فستجدينها بين المعابد والآثار الفرعونية التي تبهرك وتسلب فؤادك وعقلك لعظمتها وشموخها وجمالها الفريد المختلف عن أي أبنية أثرية أخرى شاهدتها في حياتك، وهي دليل يحملك إلى حضارة يدهشك تاريخها العجيب.

وصلوا محافظة أسوان، نزلوا من المركب، وزاروا جزيرة النباتات التي تُعرف عالميًا بالحديقة الاستوائية الدولية وفيها جلّ نباتات العالم وأغربها خاصَّة تلك الأنواع المنقرضة. ثم قصدوا جزيرة فيلة والتي رغم رطوبة الجوِّ وارتفاع

درجات الحرارة فيها، إلا أنها تحافظ على جمال أركانها من شجر ونخيل وورود وأزهار تبعث الانتعاش في النفوس.

توجهوا بعد ذلك إلى معبد أبي سمبل، أحد أشهر الأماكن التي تحتل مكانة عريقة في الكنز التراثي والسياحي عند أهل الأرض. شاهدت مايا بنايات عجيبة تختلف كليًا عن الطراز المعماري للأعمدة والأبنية التي صادفتها في زياراتها للآثار الأخرى، وجدتها أشبه ببيوت السُّكان الحاليين. أخذ العمُّ إدريس يشرح لها عن المكان ويزودها بمعلومات قيِّمة عن تلك الحضارة، وقال: هذه الأبنية العجيبة يا عزيزتي عبارة عن مقابر تسمّى مقابر النبلاء نسبة إلى من حكموا هذه البقعة من النُّوبيين سواء الأسر القديمة أو اللاحقة.

ابتسمت مايا بسعادة وقالت: حقًا، إنها عتيقة..!

وصلوا إلى معبد أبي سمبل أخيرًا بعد عناء يوم حافل بالمتعة والجمال في باقي أرجاء المدينة. لم يتمكنوا من الدخول إلى أعماق المعبد في بادئ الأمر نظرًا للزحام الشديد واستقبال المعبد للمُريدين من السياح الأجانب وأبناء مصر، ليشاهدوا الظاهرة الفلكية الأكثر غرابة في تاريخ الإنسانية. اكتشفت هذه الظاهرة إميليا إدوارد عام ٤٧٨١م وقد دَوَّنت ذلك ورَصَدته وسَجَّلته في كتابها المنشور "ألف ميل فوق النيل" عام ٩٩٨١م. بعد جهد وانتظار طويل، تمكنوا من الدخول أخيرًا، ووقفوا صامتين يراقبون ما يحدث أمامهم، وحين شاهدت مايا الظاهرة، لم تتمالك نفسها من شدة الإعجاب والذهول فَعَلت بداخلها صيحات الفضول لمعرفة قصة هذا الأمر وتاريخه بالتفصيل الذي يخلِّد حضارة بأكملها ويُعدُّ دليلًا

على تقدُّمها وازدهارها. سألت العمَّ إدريس عمَّا يحدث فقال لها خجلًا: لا أعلم يا ابنتي، ومن قال لا أعرف فقد أفتى.

غاب عنهما قليلًا ثم عاد على الفور مع مرشد سياحي ليحدثهما عن تاريخ تلك الظاهرة ويشبع فضولها الذي كاد أن ينفجر من طول الانتظار. سُرَّت مايا كثيرًا لما فعله العمُّ إدريس فقفزت عليه كما يفعل الأطفال الصِّغار مع آبائهم حين ينالون منهم هدية أو شيئًا يحبونه، وقبَّلته على وجنتيه بفرح. نظر المرشد إليها باستغراب لا يفقه الأمر، فبادله العمُّ إدريس نظرة اندهاش من تطفُّله عليهما ولسان حاله يقول له: ما بك! إنها ابنتي العزيزة التي لم أنجب، ثم قال بصوت مسموع: هيا، من فضلك اشرح لنا تاريخ وأسباب حدوث هذه الظاهرة، ننتظر ذلك بشوق.

يخجل المرشد من نفسه فيضحك معتذرًا، ثم يسهب بالشرح عن الموضوع قائلًا وعيونهم متعلقة بالكلمات التي تخرج من فيه:

إنّ تعامد الشَّمس ظاهرة لا تحدث غير مرَّتين في العام، تقطع فيها أشعة الشمس مسافة مئتي متر إلى أعماق المعبد، أي هذا المكان الذي نحن فيه الآن ويدعى "قدس الأقداس". وكما ترون أمامنا أربعة تماثيل مظلمة تضيء الشمس بتسللها إلى هنا ثلاثة منها فقط دون الرابع، وهي مرتَّبة على الشكل التالي: الأول "رع حور" أخت إله الشمس، الثاني "الفرعون رمسيس الثاني"، الثالث "أمون" إله الطيبة، أما الرابع الذي تُخَاصِمُه الشَّمسُ عند التعامد فهو "بِتاح ربْ مَنْفْ" راعي الفن والفنانين ويقال أنه إله العالم السُّفلي، لكن مايزال غامضًا حتى الآن سبب ابتعاد أشعة الشمس عنه فقط دون غيره رغم

أنَّ الأربعة تماثيل في نفس الموقع وبجانب بعضها لا يفصل بينها غير فراغ قليل لا يتجاوز نصف المتر..!

خرجت مايا مع عمِّها بعد معرفة تلك التفاصيل عن الظاهرة وهي سعيدة تكاد لا تحملها الأرض فتطير لمعانقة السَّماء، كصاروخ استكشاف يتوق للخروج من سماء الدنيا ليسبح في سماء الكون. توجهوا من فورهم إلى مدينة الأقصر، صِنْو أسوان حيث جعلهما تكوينهما الجغرافي والبيئي مدينتين متشابهتين بأمور كثيرة وإن فصلت بينهم عشرات الكيلومترات. أخذت مايا تتسابق في طرح الأسئلة على العمِّ إدريس عن المعالم التي ستكون بعظمة معبد أبي سمبل وسيشاهدونها في الأقصر، أجابها بكلِّ ثقة باسمًا: في الأصل، هذه مدينتي التي ولدت ونشأت فيها يا بنيَّتي ولن نكون في حاجة إلى مرشدٍ سياحيٍّ هنا إذ أعرف كلَّ شبرٍ فيها ويمكنني أن أقول لك أنَّ أفضل ما قد نراه على بُعد مسافة وجيزة من هنا هو مدينة الألف باب. تفتح مايا فمها دَهِشَةً وتقول: مدينة الألف باب أم الأقصر..! يواصل العمُّ إدريس حديثه: لها اسمان، فالقدماء أطلقوا عليها هذا الاسم لكثرة أبوابها كما أطلقوا على القاهرة مدينة الألف مئذنة، نحن الآن يا مايا في طريق "الكِباش" وسنزور معابد الأقصر والكرنك والرامسيوم ووادي الملوك والملكات.

الفصلُ الحَادي والعِشرون

يكلِّف ترانس بوجلو وماجلو بمهمة جديدة يهدف من خلالها إلى توسيع دائرة شرِّه على الأرض وكذلك بثَّ الرعب الكامل الذي لن يكون معه أدنى شكٍّ أنَّ الهلاك قادمٌ لا محالة للجميع. بعض الوقت فقط ما يجعل العالم وخاصَّة المجتمع الأوروبي يودُّ الخلاص عن طريق الانسحاب، والعاقل منهم قد هاجر إلى الشرق فالمهم في كل ذلك ألا يموت ميتة بشعة على يد قاتل مجنون غريب الأطوار لم يشهد العالم لشرِّه مثيلًا من قبل إلا عند الساعة الأخيرة حيث تتزين الأرض بكامل بهائها ثم يأتي يأجوج ومأجوج والدَّابة ليخربوا كل جميل.

انتشرت بين الناس بعض الشائعات الناتجة عن الخوف ليس أكثر من هول ما يحدث في العالم من تغيُّرات، وتقول أن هذا الشرير القاتل هو المسيح الدجال، ولهذا فإن الناس على وشك انقسام حقيقي، واليهود بقيادة الدولة الصهيونية إسرائيل ازدادوا شراسة وقوَّة بانتشار هذا النبأ لأن في عقيدتهم أنَّ الدجال هو الملك الربُّ الذي سينصرهم ويمكِّنهم من باقي العالم والشعوب الذين أنكروا وجودهم وحقَّهم في السِّيادة، فأخذوا يروِّجون أحاديث غريبة كتوزيع صكوك الطاعة وطلب المغفرة والاعتذار من دولتهم وإفساح المجال للانضمام إليها، أو التحذير والوعيد والتهديد لكلِّ من يخالف ذلك بأن تُجيَّش ضده الجيوش أو تصيبه لعنة ربِّهم الدجال ما لم يَعُد عن غيِّه إلى رشده.

صدَّق جلُّ الناس هذه المزاعم عدا دول الشرق وعلى رأسها مصر التي وُعِدت بالأمن والأمان من الله وكذلك الأراضي الحجازية التي كما أخبرهم

النبي محمد(ص) أنْ سيُمنع عنها الدجَّال وأعوانه، بالإضافة إلى تلك الرسالة التي نُشرت في الإعلام وهي استجداء اليهود ومن تَبِعهم وصدَّقهم بالذي يظنونه الدجَّال. وقد جاء نصُّها مؤكِّدًا لإيمان العرب المسلمين الرَّاسخ وإن كانوا في شتات وضعف، حيث أنَّ كلماتها لا تدع مجالًا للشك في أنَّ الصهاينة غير متأكدين من ظهوره وأنها مجرد محاولات يائسة منهم لاستقطاب شعبية أكبر وتحقيق مكاسب غير مشروعة وسريعة كعادتهم لزرع الفتنة والشِّقاق لأنهم سيكونون المستفيد الأول من كلِّ ذلك. وبناء عليه، فإن رسالتهم كانت ضدَّهم لا عليهم ومضمونها يبيِّن مدى كذبهم وافترائهم وميلهم إلى الشرِّ ليعمَّ على البشرية برمَّتها.

"إلى الربّ الرحيم العطوف بأبنائه وشعبه السَّامي، إلى الملك الذي سينجي عباده المخلصين بقوته وجبروته من شرِّ العالم ليعيد الحقَّ والسِّيادة إلينا، إلى صاحب الملك والتمكُّن، والغرائب والعجائب، محيي الموتى وقاتل الطُّغاة، منزل الماء ومخرج النار، يا من جنَّتك نار ونارك جنَّة، طال الانتظار ونفذ الصَّبر، فعجِّل بالظهور وأعلن الشُّرور ولا تخفيها، فإننا سنكون بين يديك كما الخاتم في يد المليك سليمان، وسنكون جنودك المخلصين كما كان الإنس والجان، أيها الدجَّال العظيم لا تتركنا هكذا ولا تخذلنا حتى لا يشمت بنا الشامتون ويضيِّق علينا الواشون وينتقم منَّا المتربصون".

يرتكب الأخوان بوجلو وماجلو حماقة كبيرة ولا يؤديان المهمَّة كما أراد ترانس فتأتي بنتيجة عكسية، ومع ذلك فإنها جرَّت عليه مكسبًا تلو الآخر، إذ أنه حين أمرهما بالصعود إلى سماء الدنيا والوقوف أمام قرص الشمس مستخدمين

أداة تعكس أشعتها وتركِّزها على الأرض فترتفع درجة حرارتها ما يؤدي إلى زيادة الاحتباس الحراري، قاما بالعكس وبدلًا من جذب الأشعة إلى الأرض جذبوها من الأرض ومن مناطق الاحتباس الحراري وأخرجوها إلى الفضاء. أدى ذلك إلى خفض الحرارة بشكل رهيب في العالم لتصبح المناطق الملتهبة كالشرق والقارة الأفريقية أكثر اعتدالًا وجمالًا، نسيمها عليل ليلًا نهارًا ورياحها باردة، والشمس لطيفة كأنها القمر بضيائه، ومناخها ربيعي كما لو أنَّ الأرض قد أُعيد تقسيم مناطق المناخ فيها. لكن كلَّ ذلك جرَّ على بلاد أوروبا وبالًا، فانخفضت درجات الحرارة فيها إلى ما دون الصفر وبدل أن تكون بعض المناطق جليدية وأخرى ممطرة، أصبحت كل البقاع بيضاء اللون، قاسية المناخ، تجمد فيها كل شيء وغزاها الصقيع. مات من جرَّاء ذلك عدد كبير من البشر لم يتمكنوا من احتمال هذا التحوِّل المفاجئ، لقوا حتفهم متجمدين لا يجدون من ينتشل جثثهم الباردة ليواريها في المدافن كما يليق. توقفت كل معالم الحياة في القارَّة الصغيرة، قِسم يصارع الهلاك لم يتمكن من الهجرة بعد أن شهد بداية الإجرام وما حصل في مدينة "نيس" الفرنسية، وآخر خطفه الموت. استخدم الثريُّ منهم كل ما يملك من ثروة ليجد حطبًا ووقودًا وطعامًا يساعده على مصارعة الموت المحتوم. أصبحت البلاد كلها عدا عجوز القارة الأوروبية "تركيا" في خراب، وهي الوحيدة التي نجت من هذا الطقس المصطنع الأسوأ في التاريخ الإنساني من أيام العصور الجليدية قبل نزول أبوي البشر آدم وحواء إلى الأرض.

اختفت الدول الاسكندنافية وأصبحت على خريطة القمر الصِّناعي الأميركي الذي يتابع من خلاله مسؤولو الاستخبارات هناك أوضاع العالم

والتحولات التي تجري فيه كما لو كانت جزءًا من كوكب بلوتو. هولندا باتت كأحد أنهار القطب الجنوبي، فرنسا تحولت إلى مسلَّات جليدية مسنونة على رأسها برج إيفل، الناس والبيوت والمصانع والعمال كلها صارت أشباحًا ساكنة، حتى الطيور والحيوانات التي جاءت إلى المكان في بداية الكارثة لتأكل من رؤوس البشر وأبدانهم المثلجة تجمدت في أماكنهم. إنجلترا أصبحت كوخًا كبيرًا يحوم حوله ضباب متجمد، روسيا وبقية الدول لا يظهر منها سوى أبراج معمارية متوهِّجة من كثافة الثلج متراصَّة كما الشُّموع حين توضع على شمعدان زجاجي.

الفصلُ الثَّاني والعِشرون

كان سهيل منتظرًا لوجين أن تأتي كما وعدته ليعودا معًا إلى أميركا ويباشران عملهما. انتظر ساعات طويلة وأجَّل السفر من رحلة إلى أخرى آملًا أن تأتي في أي وقت. كانت تصارع نفسها منذ الأمس خاصَّة بعد قضاء وقتٍ طيب شهد حميمية رومانسية لم ترها من قبل أو تشعر بها ولو لمرَّة في حياتها في ظلِّ عيشها مع ترانس، ضاغطة على كلِّ مشاعرها من أجله لأنها تحبَّه رغم ثقتها بأنه لا يحبِّها. في الواقع، لم تذهب إلى أي مكان آخر فبمجرَّد أن تأكدت من اتجاه سهيل نحو المطار عادت إلى الخيمة الجبلية مجدَّدًا تستحضر داخلها وخارجها كل لحظة قضتها مع سهيل، تتحسَّس صدره، وجهه، يديه الدافئتين الحانيتين عليها، تقارن بين عطفه عليها واحتوائه لها وبين قسوة ترانس وبرودته ولامبالاته. تبتسم من القلب حين تذكر الأول وتُخرج من أعماقها تنهيدةَ مراهقةٍ تختبئ وراء شباك غرفتها متلهفة للنظر إلى حبيبها ابن الجيران، وحين تعود إلى قبضة ترانس والذكريات المؤلمة معه ينقبض صدرها كما لو أنَّ روحها تصَّعَّد إلى السماء.

جنى الليل على النهار، حضنت نفسها مستندة على أحد أعمدة الخيمة الخشبي لأول مرة يشهد البكاء. استسلمت وغزا الحزن عينيها ليهطلا مطرًا غزيرًا كسحابة كثيفة الخير. كانت مشتتة لا تعرف ما الذي يجب عليها فعله، حبُّ ترانس ينازعها غير أنه ديكتاتور حتى عندما تكون وحدها لا يريد أن يترك لها مجالًا لتنعم بهدأة نفسية أو متسعٍ من الوقت لتفكر بأريحية مطلقة غير مشوَّشة

الأركان ومشوَّهة المعالم، إلا أنها ورغم القيد وخوفها من ردة فعل ترانس ونقمته عليها إن علم بها في داخلها من بوادر ميلٍ نحو سهيل نما بشكل متسارع وبغرابة منذ اللحظة الأولى في المقهى، اتخذت أخيرًا قرارًا كان الأصعب في حياتها مذ جاءت هذا الكون، لكنها ردَّت على نفسها بكلِّ ثقة قائلة بصوت مرتفع تسمع صداه كل الكائنات في جبال الألب عدا البشر، فما من أحد هنا يردُّ عليها أو ينتقد تصرُّفها: بل والقرار الأجمل منذ أتيت إلى هذه الدنيا.

أخذت تحدِّث نفسها بنفس النبرة وتناقشها كأنها شخصين لا شخصًا واحدًا: ولكن هناك مشكلة قد تمنعك عن تنفيذ هذا القرار يا نيفرتي. تعترض على نفسها فتقول: لستُ نيفرتي، أنا لوجين، ثم تَصقل من الجليد أمامها مرآة لامعة وتتابع: أنظري إليّ!، ها أنا لوجين التي يحبُّها سهيل بجنون. تردُّ عليها نفسها ضاحكة منها بسخرية: دعيني أصحِّح لك معلوماتك، أنتِ وجه لوجين فقط لكنك شخصية نيفرتي وجسدها وستبقين كذلك وإلا فمن صنع هذه المرآة التي تتباهين فيها الآن بوجه لوجين؟!.

بكت نيفرتي ثم صاحت صيحة غضب وانقضت على المرآة فكسرتها، فعلا صوت نفسها تخاطبها من جديد: هوِّني عليك حبيبتي، هناك حلٌّ لكل ذلك. هدأت نيفرتي قليلًا وطلبت منها الإسراع باقتراح الحل، فأخذت تقول مسهبة في الكلام: الحل الأمثل أن تصارحيه بكلِّ شيء بما في ذلك شرُّ ترانس الذي أصاب الأرض وبهذا تكسبين قلبه وودَّه وتعاطفه معك.

قاطعتها بعنف: كيف أقول له هذا الأمر بهذه السهولة؟، كيف أخبره ببساطة أني لستُ لوجين وقد كذبت عليه وتقمصت صورتها؟ ،كيف أظهر له

في صورتي الحقيقية حتى لو كنت أجمل من لوجين فلن يصدقني بعد ذلك في شيء؟، كيف يمكنني أن أخسر ترانس وآمن شره عندما يعلم بالأمر؟.

ردَّت نفسها عليها بدهشة: احترت بك يا عزيزتي، إن وقوفك هذا بين المنطقتين أمر مخيف يؤدي إلى هلاكك، فتخسرين نفسك أولًا وسهيل ثانيًا، أما الخسارة الثالثة فليست ترانس كما تتوهمين، إنما هي أن تبدئي حياة جديدة ملؤها الخير كأنك ولدت مرة أخرى، وتبتعدين عن هذا الذي غلب إله الشرِّ، الشيطان الأكبر ترانس.

ترتبك نيفرتي وتعترف بالهزيمة أمام نفسها وقد رأت حديثها منطقيًّا جدًا فتسألها وتطلب منها الإسراع في إيجاد حلٍّ نهائيٍّ متكامل بعد التفكير بهدوء ورويَّة للخروج بالنتيجة المثلى وطريقة التنفيذ. تنهض نيفرتي من أمام الخيمة وتقصد التلة التي جلست عليها مع سهيل تمشي في أرجائها وهي تفكر في جميع الاتجاهات آملة أن يهبط عليها الحلُّ من السماء كما أدنت كوكب بلوتو لسهيل في تلك الليلة.

وفي نهاية المطاف، استقرَّ أمرها على التالي: أولًا، أن تهجر ترانس إلى الأبد وتعمل على مساعدة أهل الأرض للوقوف أمام شرِّه بما معها من إمكانات خارقة وإن كانت أقلَّ منه قوَّة ومفعولًا. ثانيًا، تصارح سهيل بالحقيقة وأنها ليست لوجين بل نيفرتي في صورة حبيبته وقد فعلت ذلك في البداية مكيدة في ترانس الذي أحبَّ لوجين الحقيقية وأهملها حبَّها له، لكنها بعد رؤية سهيل وطيبته شعرت تجاهه بمشاعر نبيلة تحولت إلى حبٍّ حميم عظيم خاصة بعد الليلة التي قضياها معًا في الألب. وبعد التفكير في الاعتراف، عزمت أن تفعل ذلك

في الوقت المناسب حتى لا يهجرها وإلى حين ذلك الوقت تستمر في تقمُّص شخصية لوجين لحين الخروج من فرنسا التي يخطِّط ترانس للقضاء عليها عمَّا قريب، فتنجو مع سهيل وتنقذه من الموت المحتوم ومن غضب ترانس وشرِّه ويهربان إلى مكان لا يعلم عنه أحد شيئًا ولا يتمكن من الوصول إليهما. وأخيرًا، تحاول أن تبطل سحره لها وتفك أسرها من حبائله وتتخلص من حبِّه الذي بدأ يتلاشى رويدًا رويدًا من روحها وقلبها ليحلَّ سهيل مكانه ويسيطر على كلِّ جزء فيها.

ركضت مسرعة بعد اتخاذها هذه القرارات الحاسمة وهي سعيدة لإيجاد الحلِّ الذي يمكن أن ينتشلها من الظلمات إلى النور، وتوجهت نحو المطار لتجد سهيل بانتظارها. لم يصدِّق عينيه، فرح برؤيتها فرحًا شديدًا أنساه أيَّ لوم وعتاب لتأخُّرها عليه، احتضنته بعدما غمرتهما السَّعادة وهي تقول: ما أعظمك يا حبيبي..!.

ردَّ سهيل على الفور: أجِّلي كل هذا لحين عودتنا إلى أميركا. قاطعته بإشارة من إصبعها: لا يا عزيزي، لن نعود إلى هناك، بل سنتوجه إلى تركيا معًا فأنا أريد أن نعيش لحظات حبٍّ وحدنا بعيدًا عن أعين الجميع، وافِق وانسَ أمر الوكالة.

الفصلُ الثَّالث والعِشرون

يظهر الرئيس الأميركي في وسائل الإعلام وهو يلقي بيانًا يعلن فيه تضامن دولته الكامل مع مَن تبقى مِن شعوب أوروبا، هؤلاء الذين فرُّوا من ديارهم قاصدين بلدان العالم الأخرى التي لم تطالها النكبة بعد.

حذَّر الأميركي أي امرئ تسوِّل له نفسه الانضمام إلى جيوش العرب والمسلمين تحت لواء السيدين المهدي وعيسى عليهما السلام، وأنه يجب على الجميع الانضمام والالتفاف تحت عباءة ربِّ اليهود المنتظر الدجَّال، مبرِّرًا ما وقع من خراب أنه ليس من صنع الدجَّال بل قوى الطبيعة الشرِّيرة التي ترعب الناس لئلا يتبعوا ربهم. قال وعيناه اغرورقتا بالدموع ووجهه اكتسى بالحزن والأسى: أوشك العالم على نهايته، وبات الاقتراب من ساعة الحسم جليًّا لا يحتاج منا سوى عين بصيرة وقلب صادق وهمَّة قويَّة ولحظات صبر، فالقادم من الأيام مليءٌ بالكثير من المفاجآت، فعلينا أن نتَّحد جميعًا لإثبات الولاء للدولة الصديقة إسرائيل التي كانت منذ نشأتها حليفًا دائمًا لنا، اضمنوا النجاة في دعمها وتصديقها لعلَّ ذلك الربّ الذي ينتظرونه لا ينزل جامَّ غضبه علينا ويعفو عنا، ويصبُّه على العرب والمسلمين. يقول البعض منكم أن أوروبا تضرَّرت بسبب مساعدتها للأعداء من فلسطينيين وعرب ومسلمين، لربما يكون ذلك صحيحًا فالرب لا يقتل أو يعاقب أتباعه المخلصين، كونوا منهم لأن المعركة الحاسمة تلوح في الأفق، تحيا إسرائيل، باسم أميركا دولة وشعبًا نعلن توظيف كامل إمكاناتنا ومواردنا العسكرية والبشرية لخدمة ربِّ اليهود.

يُحدث هذا الخطاب انقلابًا واسعًا في العالم على كافة الأصعدة. تثور الشعوب على أنظمتها الحاكمة وتنقسم بين مؤيد لقرارات الرئيس في دعم إسرائيل وربِّها الدجال وبين المعارضين الذين باتوا يترقبون مخلِّص العالم من قوى الشَّر المتمثلة في الصهاينة ومعاونيهم. أصبح العالم منقسمًا إلى فريقين، منتظرٌ للمهدي والمسيح عليهما السلام، وآخرٌ للدجال.

يرى ترانس ذلك فينفجر ضاحكًا ويسخر من كل ما سمعه ويقرِّر أن يخرج إلى العالم لأول مرَّة في كينونته الحقيقية ليدحض نظرية اليهود وترهاتهم ويسفِّه ما قاله الرئيس الأميركي كما أنها ستكون فرصة له لعرض مطالبه عليهم مستغلًا حالة الهرج والمرج التي يعانون منها.

يظهر ترانس في فيديو مباشر وهو واقف على سطح القمر مسخِّرًا لذلك قمر التجسُّس الصِّناعي الأميركي مما يجعل الأمر أكثر مصداقية. لا يمكن التحكم بذلك القمر إلا من داخل الولايات المتحدة نفسها فلجأ ترانس إلى قدراته الخارقة ليركِّزه عليه ويتحكَّم فيه بإشارات من يديه ما أفقد سيطرة القيادة المركزية للقمر. لم يكن ترانس يضع قدميه على صخور القمر، بل كان مرفوعًا حوالي المترين عن سطحه فبدا لهم كأنه محلِّق، مشهد أشبه بمشاهد أفلام الخيال العلمي الخاصة بهوليوود. بدأ البثُّ المباشر للخطاب، ظنَّ الجميع من الوهلة الأولى أنه الدجَّال متأثرين بكلام الرئيس في الأيام الماضية. تابع فريق اليهود وحلفاءهم بشوق لحظة هبوطه إلى الأرض ليلتفُّوا حوله، منتشين بالنصر الذي وعدوا أنفسهم به، شامتين في الفريق الذي ينتظر المهدي والمسيح عليهما السلام أو من يكذِّب وجود الدجال وحقيقته، ظلُّوا مترقبين كلامه ليروا خاتمة المطاف.

ترانس: شالوم.

بدأ خطابه بسلام اليهود، وما إن سمعوه حتى صاحوا في كلِّ أرجاء الدنيا فرحين مستبشرين بتحية ربِّهم وتحقيق النبوءة، وتحوَّل شكُّهم إلى يقين سرعان ما تلاشى..! قطعت أفكارَهم ضحكةُ ترانس المستهزئة بهم واخترقت كيانهم وأرواحهم لينصتوا إليه في ذهول ورأوه يصفق لهم بيديه بحرارة كأنه شاهد لتوِّه مشهدًا دراميًا مؤثرًا: أيها البشر الأغبياء، رغم أني لا أراكم جميعًا أمامي وأنتم تجلسون أمام أحد اختراعاتكم البلهاء وتسمُّونه التلفاز لمشاهدتي، إلا أني أعلم بعين بصيرتي حالكم وأجزم أن فرحتكم تكاد تتخطى الأكوان بينما فريق آخر منكم يُعتصر حزنًا وألمًا. أقول لجميعكم خسئتم وخاب عملكم ومسعاكم. كيف لكم أن تصدِّقوا أعداءكم؟، إنَّهم ليسوا سوى بشرٍ مثلكم لا يشغله أمر أبعد من مصلحته الخاصَّة. إنَّ أميركا وإسرائيل هما الشيطان الأكبر في العالم، لكني على استعداد لإبادتهما وإبادة كل من يعاونهما بما فيهم بعض دول العالم النامي أو الثالث كما تسمونه. هؤلاء الذين يستعبدون شعوبهم ويحكمونهم باسم دين الله الواحد الأحد العظيم وهم لا يعرفون من الدين حتى قشوره بل يعاونون أعداء الدين الذي أتى به محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والرسل.. وليعلم الجميع الآتي:

ما جئت لتدمير العالم وما أردت ذلك لكم لولا أنكم أرغمتموني عليه، فدمَّرت جزءًا منه وعلى استعداد لتحطيم ما تبقَّى منه إن لم أحصل على ما أريد، وفي وقت قياسيٍّ سيكون مصير العالم برمَّته إما كتلة جليد يموت فيها كلُّ حيٍّ متجمدًا ويصبح تمثالًا أو شعلة نار تحترق فيها المخلوقات وتتفحم مستحيلة إلى رماد.

اعلموا أني لستُ إله اليهود كما يزعمون، فدجالهم هذا لا يقوى عليَّ لأنَّ شرِّي يفوق شرَّه، ليأتِ إلهُهم ويَظهر لي ويواجهني إن كان قويًا! رغم كوني شريرًا إلّا أنِّي أؤمن أنه ما من إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد وهو خالق هذا الكون الذي يحملنا جميعًا، أما الدجال وما سمعته منكم فليس إلا محض كافر مدَّعي الألوهية، فكيف لكم أن تجعلوا شرًّا مثلكم إلهًا عليكم بمنزلة من خلقكم؟، مالكم كيف تحكمون؟، أفلا تعقلون؟!.

وأخيرًا، أمهلكم ثلاثة أيام لا تزيد ساعة لأجد ضالَّتي المنشودة، فمن يعرف شيئًا غريبًا ليس بأرضيٍّ من فصيل النجوم ليعلن عنه فورًا حتى أرحل عنكم. أمَّا إن مرَّ الوقت المعلوم وتجاهلتم رغبتي، فقد رأيتم من شرِّي اليسير وما بقي منه الكثير الكثير.

همَّ في قطع الإرسال عنهم ثم عاد إليهم فتكلَّم مرة أخرى وقال: بالمناسبة، أدعى ترانس، نجم من درب اللبانة، مكمن للشرور.... شالوم.

الفصلُ الرَّابع والعِشرون

رأت مايا هذا التهديد الخطير على شاشة التلفاز من ترانس، حالها في ذلك كحال مليارات البشر الذين تابعوا الأمر عن كثب وترقُّب، وازداد خوفهم بعد انتهاء الخطاب ليصبح جليًّا للجميع حقيقة وجود شرِّير كترانس أشبه عند العالم بآلهة الشرِّ والظلام في عصر ما قبل الميلاد.

أمَّا بلاد الشرق، رغم ابتعاد الخطر عنها مبدئيًّا، لم يسلم شعبها من إيقاع نفسه تحت قبضة المجهول، والخوف من قدوم ترانس إلى بلادهم. وبطبيعة الحال يتعاطى أهل تلك البلاد الأمر إما بشكل مبالغ أو بطريقة يشوبها التقصير والاتكال، وفي الحالتين يزداد الأمر سوءًا لأنهم لا يستطيعون التعامل مع المشكلات من خلال إدارة الأزمة بعمل وعلم منطقيين، إنما تُبنى الأمور دائمًا على الفهلوة والجهل والدكتاتورية السَّلبية.

لهذه الأسباب، فقد عمَّت البلاد ومن بينها مصر كونها جزءًا من هذا الجسد العربي العليل فوضى وفوبيا من أفعال ترانس وخطواته القادمة، فأخذوا ينسجون خيالات وقصص عنه أغلبها تحوَّل إلى أسطورة يونانية أو إغريقية وباتوا يجهِّزون لنهاياتهم المنتظرة على يديه، البعض استسلم لمصيره المحتوم والآخر يُعدُّ العدَّة للرحيل عن البلاد إلى مكان لا تطاله يد ترانس حتى لو وصل أطراف الدنيا، وجزء أخير فكَّر في كيفية إرضاء هذا الرجل الخارق وطريقة الانضمام والانضواء تحت راية بطشه وقوته ففي ذلك مأمنه وسلامته.

كانت مايا وقتئذ في طريق وادي الكباش في الأقصر قاصدة معبد الملوك ومن ثم معبد الملكات. انزوت هي والعمَّان إدريس وصباح مستندِين على عامود فرعوني ضخم احتلَّ جزءًا كبيرًا من الطريق. ارتعش جسدها وأجهشت في البكاء كمن فقد روحًا عزيزة على قلبه، ضمتها العمَّة صباح إلى صدرها وربَّتت على ظهرها تطلب منها التخفيف عن نفسها طالما هي معهم وفي حمايتهم، وذكَّرتها أن الأقدار يكتبها الله وحده الذي يتحكَّم في مصائر الناس بينما لا يقدِّم البشر ولا يؤخِّر شيئًا لنفسه.

كان العمُّ إدريس بعكس العمَّة صباح يعرف سبب بكاء مايا، فسألها: أهو هو يا ابنتي..؟! كفكفت مايا دموعها بيديها وأجابت: نعم يا عم، هو هو الذي لم يدعني في هناء إلا وأقلق راحتي في كلِّ لحظة بِشَرِّه منذ صغري.

دُهشت العمَّة صباح وهي تسمع حديثهما كأنهما يتكلمان بألغاز لا تفهم كنهها فتساءلت بتعجُّب: تعلم يا إدريس أن فِهمي محدود، فما الأمر وعن أي شخص تتحدثان ومن يكون هو هو المعني..؟.

يجيبها العمُّ إدريس لكنه يشرع في الإسهاب عن شيء آخر ويسرد غير الحقيقة، إلا أن مايا توقفه برفق قائلة له بصوت اغتاله الحزن: هوِّن عليك أيها العمُّ الطيب، ما من داعٍ لاختلاق القصص، لقد سبق السَّيف العذل والحقيقة منذ اللحظة ستكون سيدة الموقف لا الروايات التي تخفيها وإن كانت مبرَّرة. يجب على العالم بأكمله أن يتَّحد للوقوف في وجه ترانس، إنها مسؤولية الجميع منذ الآن، ثم التفتت إلى العمَّة صباح قائلة لها مبتسمة: لستُ خائفة من موت أو هلاك، إنما بكائي من أجل إحساسي بالمسؤولية تجاه ما يحدث في العالم وأنني

السبب في ما يجري من دمار وخراب فيه. تَفْغَرُ العمَّة صباح فِيها دهشة وقالت: وهل تعرفين من يكون الشرير الذي يحدث كل هذه الفوضى..؟.

قاطعها إدريس بحزم: لا تكثري السؤال يا صباح، ابنتي مايا مدَّعية، ما هذا الكلام الذي تقوليه يا مايا؟، أيمكن لِحَمَلٍ وديع مثلها أن يعرف شيطانًا كترانس..؟!.

مايا: دعها يا عمّ، بمجرد أن تعرف قصتي ستعلم الحقيقة ويزول أي شكٍّ بداخلها تجاهي.

أخذت مايا تقصُّ عليها الحكاية من أولها لحظة نزولها إلى الأرض، وما إن انتهت حتى عنَّفت صباح العمَّ إدريس لكتمانه الأمر عنها طوال هذه المدَّة ثم عانقت مايا وقالت: لا أصدق حدوث ذلك لولا إحساسي منذ البداية بأنك فتاة مختلفة تمامًا، كل شيء فيك مختلف، جمالك، أخلاقك، ذكاؤك، كل هذه الأمور كانت مثيرة للريبة بداخلي غير أنها زالت الآن وبات خوفي عليك أكبر من أي لحظة مضت.

مايا: ممَّ الخوف يا عمتي؟.

صباح: أخاف أن يمسّك المدعوّ ترانس بسوء فهو يملك قوة وشرًّا لا يمكن لأحد أن يواجهه ويتغلب عليه.

مايا: قبل قليل قلتِ لي أن الله خالق الجميع موجود معنا يرعانا ويتحكم في كلِّ شيء بحياتنا، فكيف انقلب حالك وكلامك؟.

صباح: لم أتراجع يا ابنتي لكن رحم الله امرئ عرف قدر نفسه.

مايا: صدقتِ، وأنا أعرف إمكاناتي وقدراتي جيدًا ويمكنني مواجهة ترانس وحدي.

تمصمص صباح شفتيها ولسان حالها يقول: مسكينة الفتاة، لقد جُنَّت، كيف تواجه جبّارًا مثل ترانس وهي على هذه الحالة من الرقَّة والطيبة؟!.

تشعر مايا بما في نفس صباح فترد عليها: لستُ وحدي أيتها العمَّة، لا تخشي عليَّ فالله حتمًا معنا ومع الخير أينما حلَّ وقد سخَّر لي ورزقني إيَّاكم لتحموني وترعوني كلَّ هذه المدَّة وإلا بقيت مشتتة بين الأنصار لا ألوي على شيء في هذه الدنيا.

يردُّ عليها العمَّان إدريس وصباح بصوت واحد: ونِعْم بالله يا ابنتي ونِعْم بالله... ثم يضحكان ليخفِّفا عنها تلك الحمولة الثقيلة التي آلت على نفسها إلا أن تتحملها وينهض الجميع لمواصلة المسير.

وصلوا إلى معبد وادي الملوك وتجوَّلوا بداخله، يتسلَّل التعب إلى مايا وتشفق على العمَّين الكبيرين اللذين يرافقانها في رحلتها ويتحملان معها المشاقَّ، فتطلب منهما العودة إلى القاهرة ليرتاحوا هناك ويقررون الخطوة القادمة. يرفض العمُّ إدريس ذلك قائلًا: أيتها اللامعة البارقة البازغة في الكون كله، أيتها الساكنة في قلوبنا، علينا أن نستمرَّ فيما نحن فيه فلا يجب أن يتوقف العالم جرّاء أفعال رجلٍ شرير، يجب أن تحصلي على السعادة والمرح اللذين وعدتُك بهما، تَأكدي أنَّ الله سيلهمنا سبلًا لم نكن لنفكِّر فيها لمواجهة هذا الشِّرير.

الفصلُ الخامِس والعِشرُون

جلس شادي حزينًا كئيبًا يشعر بضيق شديد وكأن الأرض كلُّها تطبق على صدره فلا تدع له مجالًا للتنفس، يحاول السيطرة على أحزانه فتلوح في نفسه فكرة أخرى، يتذكر مايا، يخاف عليها ويتمنى أن يكونا معًا في هذه اللحظة ليحميها من هذا الشرِّ الذي يتوقع الجميع قدومه إلى البلاد. رغم عدم لقائه بها غير مرة واحدة إلا أنه تذكَّر قولها: بعض المواقف في الحياة قد تحدث مرة واحدة ولا تتكرَّر، لكنها تسكن في القلب وتستوطن العقل فلا يمكن التفكير في أمرٍ آخرٍ غيرها.

ينبع اندفاعه نحو مايا وشعوره بالحاجة إليها وأنها في حاجة إليه من أمرين: الأول قصَّته الجاثمة على صدره والتي لم تتمّ مع حبيبته ريتا، وشعوره بأنه يريد أن يُفضي بكل ما يختلج في نفسه إلى مايا وحدها، والثاني إحساسه بأنه الوحيد في هذا الكون المسؤول عنها لشعوره منذ لقائها أنها وحيدة مثله وما من أحد يرعاها. دائمًا تجد الأشياء المتشابهة مجالًا للاتحاد والانسجام الفطري وإن كانت مختلفة الأجناس جوهرًا، فالشكل أيضًا يتَّحد كما تتحد الرُّوح مع غيرها. فكَّر شادي بلقاء مايا مجدَّدًا حاملًا لها مشاعر نبيلة وغايته فيها لا تتعدَّى كونها مشاعر إخاء وثقة واحترام.

كانت مايا في نفس الوقت جالسة تفكِّر في شادي وتتساءل ماذا فعل مع الصبيَّة وهل نجح في الوصول إليها أم لا. وقفت عند مساحة واسعة تغزوها

الشمس داخل معبد وادي الملوك تدعو الله أن يوفقها للقضاء على ترانس وتخليص العالم من شروره وأن يلهمها الطريقة المثلى لذلك. بينما هي في تأملاتها، وقع بصرها على جدارٍ منعزل عن باقي أركان المعبد عليه جداريَّة بارزة رُسم عليها صندوق مزخرف بالعاج. جذبها زهاؤه وبهاؤه والنقوش العجيبة التي لم ترَ لها مثيلًا من قبل في حياتها على اتساع الكون ومداره الفارق. اقتربت منها أكثر، مرَّرت يديها تتحسس البروز المنقوشة وقد أخذتها الدهشة والسرور، إحساس غريب راودها فوَدَّت لو لم تفارق اللوحة أو تأخذها معها. انتشلها من أفكارها صوت العمِّ إدريس ينادي عليها للذهاب واستكمال الرحلة في زيارة باقي الأماكن ليتمكنوا من ذلك قبل غروب الشمس. ألقت نظرة أخيرة على اللوحة، فانتبهت لجزء فارغ في الصندوق وكأنه اقتُطِع منها، وانبثق من الفراغ شعاع يلمع لمعة غريبة كأنه ينادي عليها أو يلاعبها كما تفعل النجمات الصغيرات في السماء حين تداعب الأطفال الصغار النائمين في العراء بلا مأوى فتنسيهم ظلم البشر وقسوتهم.

عادت إليها مرَّة أخرى لكنها اقتربت وركَّزت أكثر، دقَّقت النظر في الفراغ فوجدته على شكل نجمة سماوية زاهية الألوان. اندهشت مما ترى إلا أنها لم تعره اهتمامًا أو تجد له تفسيرًا. تابعوا رحلتهم وزاروا معبد الكرنك، جالت في أرجاء المكان وإذ بها أمام عامود ضخم عليه جداريَّة أخرى تشبه الجدارية الأولى إلى حدٍّ كبير، عليها صندوق وفي وسطه رُسمت ثلاثة أسهم تتجه لأعلى وسهم رابع يتجه لأسفل.

حار عقلها بهذه الرُّموز التي لم تكن تدرك تفسيرها وظلت تفكِّر في معناها وتحاول الربط بينها لكن جهودها ذهبت سدى. لاحظ العمُّ إدريس انشغال فكرها، اقترب منها وسألها عن سبب ذلك أكثر من مرة وعرض عليها أن تخلد للراحة لو كانت تشعر بالتعب، وأعدَّت لها العمَّة صباح الطعام فابتسمت موضِّحة لها أنَّ ذاكرتها تحتاج للانتعاش من جديد فقالت: كم من مرَّة أخبرتك أيتها العمَّة الطيِّبة أنَّ طعامي مختلف عمَّا تأكلون. أشكركما من كلِّ قلبي على هذا الاهتمام البالغ وليس فيَّ شيء مما ذكرتماه، لا تعب ولا جوع إنما أخذتني الطلاسم التي رأيتها في المعبد وأفكِّر في حلٍّ لغزها كما أشعر بأنها رسالة إليَّ لكني لا أفهم كنهها.

سرحت مايا تعيد شريط ذكرياتها في الأيام السَّابقة، لحظات ماتعة قضتها وأخرى متعبة، ثم مرَّ ببالها شارع مسجد الحسين وبائع السِّواك المسكين الذي تعرَّفت عليه. انتفض جسدها وقفزت من مكانها تخطو ذهابًا وإيابًا، إنَّه شادي..! أهدته نجمتها وفيها جزءًا من قوَّتها.. هذا ما كان يشير إليه الفراغ الأول في الجدارية. ظنَّت مايا حينها أنها لن تحتاجها بعد نزولها الأرض غير أنَّ ترانس لن يدعها تعيش بسلام بهذه البساطة.. فشعرت بحزن عميق ينتابها وهي لا تعرف مكان شادي وأخذت تفكِّر مليًّا في كيفية الوصول إليه.

كان شادي مستغرقًا في حزنه، يكلِّم نفسه تارةً والنجمة تارةً أخرى. مدَّ يده ليلمِّعها إذ تخيَّل فيها صورة ريتا ولقاءه الأخير بها، مسحها قليلًا فوجد بها لمعانًا غريبًا. أخذ يفركها بثيابه عدَّة مرات وهو ينادي: أحتاج إليك يا مايا وإلى دعمك ونصائحك، أحتاج محبَّتك للخير والبشر التي لمحتها في عينيك، تُرى أين

تكونين الآن..؟. اهتزَّت النجمة بين يديه وفوجئ بها تزداد لمعانًا حتى خرج منها وميضٌ شقَّ الأرض إلى السماء. في هذه اللحظة، أحسَّت مايا بحركة خفيفة في صندوقها الصغير، أخرجته من حقيبتها وفتحته فرأت الأحجار الصغيرة تدور وتلمع ثم اجتمع وميضها في شعاع واحد خرج من فتحة الصندوق مشكّلًا عامودًا ضخمًا يصعد إلى السماء.

أغمضت مايا عينيها واتجهت نحو الشعاع، وما إن اقتربت منه حتى غابت عن أعين العمَّين إدريس وصباح. أجهشت العمَّة صباح بالبكاء خوفًا على مايا، احتضنها العمُّ إدريس وأخذ يهدِّئ من رَوعها وقال: لا بدَّ أنها استجابت لنداء النجمة، أستطيع أن أخبرك أنَّ مايا ستنقذ العالم من الشرِّ وهي الوحيدة التي يمكنها تخليصنا من هذا المجنون، بدأت قوَّتها تعمل، آه يا صباح لقد سافرتُ قديمًا عبر غصن الزيتون وهي سافرت الآن بواسطة نجمة، ما أعظمها من طيِّبة جميلة. تتعجَّب العمَّة صباح فتسأله: هل فقدت عقلك يا رجل؟، عن أيِّ غصن زيتون تتحدَّث؟!. يضحك ضحكة قويَّة ويجيبها: إنَّه أمر يطول شرحه أعدك أن أقصَّ تفاصيله عليك بعد أن نستريح.

الفصلُ السَّادسُ والعِشرون

يعذِّبُ ترانس لوجين بعد اقترافها إثمًا عظيمًا من وجهة نظره هو رفضها التامُّ والقاطع لطاعته وتنفيذ أوامره بمرافقته إلى مصر منساقة دون تفكير، الأمر الذي جعلها تتنبَّه وتشكُّ في أمر ترانس وتتساءل عن الدوافع الكامنة وراء طلبه ولم تنطلِ عليها حيلته في أنَّه سيرافقها إلى هناك لإنقاذها من هذا الشِّرير الذي يهدِّد العالَم.

كانت لوجين قد بدأت تملُّ من التواجد معه إذ قلَّ اهتمامه بها من جهة وأصبحت تراه نادرًا، يختلق الأعذار ليطيل الغياب عنها، فتذهب لتتنزه وحدها وجالت في أرجاء تركيا بمفردها. اكتفت لوجين من البقاء معه بهذا الشكل فأخبرته بوجوب عودتها لأميركا حيث حياتها المثلى، فاشتاط غيظًا وأظهر لها وجهه الآخر وأخبرها بحقيقته، فأخذتها الدهشة ووقع عليها الخبر كالصاعقة ولم تعد تقوى على فعل شيء. كان ترانس يحتاج إلى مساعدتها في الخروج من الأرض بصفتها عالمة فضاء وطلب منها أن تهيِّء الأمر له فور حصوله على نجمته التي نزل من أجلها. تمنَّعت لوجين ولم تبالِ بما يمكن أن يفعله بها إن لم تنفِّذ أوامره. صمت ترانس وأخذ ينظر إليها متفحِّصًا محاولًا اكتشاف ما يدور بداخلها ثم ضحك بهستيريا عالية وغزا الغضب وجهه وقال: أمَّا عن قتلك فلا أرى منه فائدة الآن كما أنني أكنُّ لك بعض المشاعر الجميلة التي نَمَت في الأيام الماضية معك.

قاطعته بحدَّة قائلة: وهل تملك قلبًا أو شعورًا..؟!، يوشك العالم بأسره على الفناء بسببك، فأيُّ مشاعر تختزنها في جوفك سوى السَّادية؟.

احمرَّ وجهه غضبًا منها، لطمها على وجهها بقوَّة فأوقعها أرضًا، بكت، اقترب منها وأجلسها ثم دنا ليمسح دموعها بيديه، أشاحت بوجهها عنه فقال لها بصوت خافت: بالطبع لي قلبٌ ومشاعر والدَّليل أنَّ كلَّ ما يحدث الآن هو بسبب حبِّي الضائع، ربَّما تكون الوسيلة لذلك غير مبرَّرة ولا يرضى عنها ربِّي أو أهلي وعشيرتي لكنِّي لستُ السَّبب الوحيد في كلِّ هذا الدمار، نجمتي أيضًا تحمل بعض الأوزار لهربها مني ونزولها أرضكم واسألوها عندما نعثر عليها لَمَ لَمْ تذهب إلى كوكب آخر، ولِمَ عكَّرت صفو عيشكم واستقراركم؟.

لوجين: لا تحاول أن تلقي اللوم على غيرك لتثبت براءتك وتبرِّر أفعالك وتوهمنا أنَّك الضحيَّة ولستَ الجاني. حتى وإن صدَّقتك وأشفقت عليك كيف يمكنك إصلاح ما أفسدتَه وإعادة العالم إلى عهده السَّابق قبل نزولك، صمتت قليلًا ثم استأنفت كلامها: أخبرني، من تكون نجمتك هذه؟، كيف تبدو وما قصَّتك معها؟.

حرَّكت بداخله الفطرة النقيَّة التي يخلق الله الكون عليها، فما إن انتهى حتى أجهش بالبكاء، همَّت لوجين بالاقتراب منه لتضمَّه إشفاقًا على حاله، لكنَّ حرارة دموعه حرَّكت بداخله براكين الغضب وشياطين الشرِّ، تحوَّل حاله من جديد، دفعها بعيدًا عنه وأخذ يستمتع بتعذيبها وهو يضحك بجنون. كان يستخدم قوَّته الخارقة ليحرِّكها بإشارة من يديه، يرفعها عاليًا ثم يدعها ترتطم بالأرض، يقلِّبها في الهواء فتصطدم بالأشياء كما لو كانت

دمية صغيرة أو مروحة هوائية وهي تصرخ باكية حتى فقدت وعيها، فتوقف صراخها واستجداؤها بطلب الرحمة، وأصبحت بلا حراك. أوقف عذابه ظنًّا منه أنها ماتت. استيقظت لوجين بعد فترة، فجدَّد ترانس عرضه عليها أن تساعده كما طلب لترتاح من كلِّ هذا العناء ويعفو عنها وتذهب معه إلى مصر راضية.

كان قد أوشك على الوصول إلى النجمة ونيل مراده لأنَّ فَرْك شادي لها كان سلاحًا ذا حدَّين: الأول عثور مايا على مكان شادي والثاني وصول إشارات من النجمة لترانس ساعدته في تحديد مكانها.

أصرَّت لوجين على موقفها ورفضت معاونته والانصياع لأوامره، فاشتدَّ غضب ترانس وقال لها: إذن سأنزل بك عذابًا ما رأيته من قبل، سأحوِّل جمالك الفتَّان إلى جمال أسود وسأحملك معي إلى مصر بهذا الشكل شئتِ أم أبيتِ، ثم نادى على بوجلو وماجلو اللذين امتثلا أمامه فورًا وهما ثملين يتطوحان، فطلب منهما إحضار نيفرتي على الفور حيَّة أو ميتة لأن الوقت ضاق.

كانت نيفرتي المقنَّعة في صورة لوجين جالسة مع سهيل في كنيسة "آيا صوفيا" التي تحولت إلى مسجد عقب الفتح الإسلامي لاسطنبول على يد سلطان من سلاطين الدولة العثمانية محمد بن مراد الملقب بـ"محمد الفاتح"، ثم تحولت مؤخرًا إلى متحف يقصده الجميع من كلّ أنحاء العالم بجمال عمارته وعجائب بنائه ونقوشه. تحاول نيفرتي الاعتراف لسهيل باحثة عن

فرصة تخلِّصها من هذا الكذب الذي بداخلها فتطرحه بعيدًا عنها وتستبدله بحبِّ سهيل الذي تمنَّت أن يستمرَّ حتى بعد معرفة حقيقتها.

أخذ بوجلو وماجلو يبحثان عن نيفرتي في أرجاء تركيا ولم يجدا لها أثرًا، فجلسا متعبين أمام ذلك المتحف يستظلَّان تحت أشجاره الوارفة، يشربان من حوض الماء أمامهما وهما خائفان من ترانس في حال فشلهما. فجأة، تخرج نيفرتي وسهيل من هناك متجهين لزيارة مكان آخر، لمحهما بوجلو فنادى على ماجلو الذي كان يتغوَّط في حوض الماء، هبَّا من مكانهما مسرعين وانطلقا نحو نيفرتي وقال ماجلو: إنها لوجين..!، كيف تمكَّنت من الهروب من قبضة سيِّدنا ترانس ومن يكون هذا الغريب الذي يمشي بجانبها؟!. يردُّ عليه بوجلو بضحكة قصيرة ساخرة: صدقت يا أخي، يبدو أنَّ ترانس قد وهن وخارت قواه ولم يتمكَّن من الحفاظ على فتاة في قبضته فكلُّهن يهربن منه. يقتربان من نيفرتي وسهيل، تفصلهما بضع خطوات، تلمحهما نيفرتي بطرف عينها فيخطر ببالها فورًا أن تغيِّر من شكل سهيل حتى يبدو كترانس دون أن يدري. وما إن وصل الأخوان إليهما حتى ارتبكا لمشاهدة ترانس، فتمتما بكلمات غير مفهومة وزجر كلٌّ منهما الآخر يتَّهمه بالتقصير يلومه لعدم تمييز رئيسهم عن غيره. خاطبا سهيل باعتباره ترانس قائلين: لم نعثر لهما على أثر الآن وكأنهما خارج تركيا، ما العمل يا سيِّدي؟.

وقف سهيل مذهولًا لا يدري بما يردُّ فبادرت نيفرتي بالكلام وقالت بحدَّة: حقًا، أنتما هكذا دائمًا، أغربا عن وجه سيِّدكما ترانس أيها الأحمقين عديمي الفائدة قبل أن يُنزل عليكما جامَّ غضبه واسبقانا إلى مصر وسنلحق بكما قريبًا.

يتخبَّطان ببعضهما البعض ويركضان بعيدًا قبل أن تنزل بهما لعنة ترانس. ارتبك سهيل وشعر بأنه يجهل ما يحدث حوله، أخذته نيفرتي جانبًا، أعادته إلى شكله الأصلي، ثم صارحته بالموضوع كاملًا وظهرت له بصورتها الحقيقية. صُعق ترانس من هول الخبر وهمَّ في الافتراق عنها لأنها خدعته، شعرت بالاستياء وحاولت إقناعه بأنه يمكنهما معًا إنقاذ البشرية، فتراجع عن قراره وعزما الذهاب إلى مصر.

الفصلُ السَّابع والعِشرون

كان شادي جالسًا في حديقة صغيرة أمام مسجد الإمام الحسين يفترش عشبها، ومازال يفرك النجمة ولسان حاله يستجدي مايا علَّه يلتقيها مجدَّدًا. تغلبه سِنة نوم ولن يستيقظ إلا على وجه مايا النضر ولمسات كفِّها الرقيق الصغير الذي أخذت تربِّت به على كتفه.

هبَّ من مكانه فرحًا غير مصدِّق عينيه، قرص نفسه ليتأكد أنَّ الأمر حقيقة وليس أحلام يقظة وطلب منها الأمر نفسه ففعلت وهي تضحك فقالت له: يا لظرافتكم أنتم أبناء مصر كما لديكم أشياء غريبة لم أرَ مثلها في الكون كله. ابتسم شادي بسعادة وتوجه إلى صنبور ماء في الحديقة ليغسل وجهه وينتعش ويجدِّد قوِّته.

عاد إلى مكانه بعد لحظات، فبادرت مايا بالقول: ماذا فَعَلت بك الدنيا يا شادي؟، وأين وصلت في حبك؟.

يضحك شادي ضحكة المقهور ويزفر بقوَّة ويقول: الدنيا؟!، منذ متى تعطينا ما نريد؟.

تشعر مايا أنَّ الأمور لم تمرَّ على ما يرام، فتبتسم بحنان لتخفِّف همَّه وتقول: بقاؤك قويًّا هكذا وحفاظك على عفويتك أمر جيِّد في حدِّ ذاته ويعدُّ انتصارًا على الدنيا بكلِّ ما فيها من صعوبات.

شادي: وهل ينبغي أن نظلَّ على هذا الحال دائمًا، ضائعين مشتَّتين؟.

مايا: الضياع يا عزيزي كلمة كبيرة وها أنت أمامي...

يقاطعها قائلًا: حسنًا، قصدتُ مهمَّشين.

مايا: لو كنتَ مهمَّشًا لما جلستُ معك الآن، أنت كيانٌ عظيم لكنك لا تدرك ذلك وتقلِّل من شأن نفسك.

شادي: قولي بربك إذن، ماذا يسمَّى هذا؟.

مايا: يسمَّى القدر، والقدر أحداثه كثيرة، فيه صور مليئة بالعِبَر وعليك أن تثق أنَّ خلف ذلك الضجر يَكْمُنُ خيرٌ كبير لا يُقدَّر.

يشعر شادي بالرضا وبعض الاطمئنان لكلامها، فيقول: صدقتِ يا مايا، ما أحوجنا لأمثالك في الحياة.

تردُّ عليه بابتسامة عريضة: هيَّا قُصَّ عليَّ ما دار بينكما بسرعة فنحن على وشك الدخول في قِصَّة أخرى تربك العالم قد لا نخرج منها أو لا أسمعك بعدها، وقد لا يتسنَّى لنا وقتٌ لكلِّ ذلك ،أضف أنَّ الشوق يدغدغني لمعرفة تفاصيل الأمر.

شادي: ألكِ اليد الطُّولى في الأحداث التي هيَّجت العالم؟!، كيف يكون ذلك ولا يبدو على هيئتك إلا الخير؟!.

تشعر مايا بالحزن والأسى لأنه تسرَّع بالحكم وظنَّ فيها سوءًا، تمالكت نفسها وردَّت بهدوء: لي اليدُ الأولى في حدوث ذلك لكنني سأعمل إن شاء الله على وضع حدٍّ لهذا الشَّر.

شادي: إذن ابدئي أولًا وقصّي عليَّ قصَّتك العظيمة فهي حتمًا أفضل من حكايتي عديمة الأهمية.

كشَّرت مايا في وجهه لتشعره أنها غضبت منه وقالت بصوت شجيٍّ: لا يجب أن تقول ذلك يا صديقي فكلُّ قصَّة في الحياة كبيرة كانت أو صغيرة هي ظاهرة تستدعي التوقف عندها والتفكير مليًّا في جوانبها لأن ذلك يعلِّمنا الكثير، هيا ابدأ حديثك من فضلك فليس لدينا وقت.

يستجيب شادي أخيرًا ويبدأ سرد الأحداث باختصار قائلًا: وجدتها أخيرًا بعد جهد جهيد وقضينا معًا وقتًا طيبًا، واسمها ريتا بالمناسبة وهي شامية الأصل. تجولنا ليوم كامل في أفضل الأماكن وأخذتها إلى المناطق التي يحبُّها قلبي فأُعجِبَت بها كثيرًا خاصَّة الأهرامات التي أدهشتها عظمتها وأبو الهول، ثم توجَّهنا في رحلة نيليَّة إلى القناطر الخيريَّة. كانت سعيدة جدًا تكاد تطير من على الأرض وترفرف في السماء لشدَّة الفرح، لمحتُ في كلِّ تقاسيمها الارتياح إليَّ والشعور بالأمان والاطمئنان، وشعرت من خلال أفعالها بالحبِّ المتبادل وتوافرت كلُّ عوامل نجاح هذا الحبّ. صارحتها أخيرًا بالاستمرار فلم تمانع وأبدت سرورًا مبالغًا لسماعها ذلك. وفي اليوم التالي، اتفقنا على اللقاء لزيارة أماكن جديدة ثم أرافقها مساء لتعرِّفني بأهلها فقد أرادت أن تقرِّبني من عالمها أكثر، ولكن!.

صمت شادي فجأة وتقاطرت من عينيه بعض دمعات حارقة حتى مايا أحسَّت بحرارتها، مدَّت يدها الحنون لتمسح دمعه بمنديلها الوردي، ابتسمت

له برقَّة وقالت: واجه الأمر يا شادي، كن شامخًا كالجبال، هكذا هم الرجال الأقوياء لا تعصف بهم ضربة واهية.

أخذ نفسًا طويلًا ثم تابع حديثه فقال: كنت قد افترشت صباحًا المكان الذي أعمل فيه ببضاعتي التي أقتات منها رزقي وأردت أن أحصل على بضع جنيهات أخرى لتساعدني في رحلتي مع ريتا، فنحن أبناء مصر لا نحبُّ أن تنفق علينا امرأة. مرَّ يوم عملي كما دائمًا منتظرًا موعد حضورها إليَّ بشغف، وإذ بها تصلُ عصرًا وليتها لم تأتِ!.

لم تكن ريتا وحدها بل كان يصحبها شابٌّ طويل أنيق، ما سلَّمت عليَّ حتى بل وقفت كأيِّ زبون آخر تتفقد البضاعة لتشتري ما يعجبها ثم انتقت بعض المشغولات اليدويَّة. صعقتُ من هول الأمر وقد ظننتها في البداية فتاة أخرى حتى أخرجت من حقيبتها الصغيرة تلك النجمة السحرية التي أهديتُها إياها وأعادتها إليَّ. لاحظ الشاب الذي يرافقها اهتمامها بي، فأخذته الغيرة وقال غاضبًا: هل تعرفين هذا الولد يا ريتا؟!.

ردَّت عليه ببرود: إنّه شابٌّ فقير يا حبيبي، وقد أحببت أن أشتري منه بعض الأشياء لأساعده على صعوبة العيش وعناء الحياة ليس أكثر.

ثم التفتت إليَّ وقالت تخاطبني بصوت جاف: إنه توني خطيبي يا شادي، تمَّت خطبتنا ليلة أمس، حدث الأمر فجأة دون سابق تخطيط فلم نودّ تأجيل الأمر لحين عودتنا وفضلنا عمل الإكليل هنا في كنيسة القلب المقدَّس في القاهرة تباركًا بمصر التي مرَّ فيها يسوع المسيح وأمه. وفي لحظة واحدة اتضحت كلُّ

الخيوط لي يا مايا ولم أتمكن من النطق بشي، لا خيرًا ولا شرًّا، حتى أني هممت في أن أتشاجر مع توني لتقليله من شأني ووصفي بالـ "ولد" لكني كنت عاجزًا عن الحراك، وقالت وهي تعيد النجمة: لا يمكن أن يجتمع الأبيض والأسود يا شادي، وعندما علمتُ أنها مسيحية تيقَّنت أنها كانت تتسلَّى بي ليس أكثر.

قاطعته مايا وهي تقول: لا يا شادي، تلك الفتاة لم تكن لتفعل ذلك، إنما في بضع سويعات دخلت في صراع مع نفسها وحسمت الأمر بالارتباط بهذا الشابِّ الذي من ملَّتها، ربَّما رأت أنها ستجرُّ على نفسها المشكلات إن استمرَّت معك لأنها لن تغيِّر من دينها كما أنك لن تفعل ذلك، فاختصرت الطريق على نفسها ربما لتحافظ عليك وخوفًا من المتاعب التي ستلحق بك من عائلتها، فأنت مسكين لا سند لك في الحياة وهي على ما يبدو من عائلة ثريَّة متجبِّرة لها عاداتها والدليل على ذلك ارتباطها المفاجئ بتوني لحسم هذا الصِّراع.

يَحير شادي في أفكاره ويسأل مايا: لماذا لم تقل لي كلُّ ذلك؟، لم أكن أعلم أنها مسيحية الأصل فلِمَ لَمْ تواجهني بالحقيقة؟، ولماذا استجابت لي ودعتني على هذا النحو؟، الأمر غير عادل بالمرَّة!.

مايا: رفقًا بنفسك يا عزيزي، هوِّن عليك، إنما هي فتاة ذكيَّة جدًّا وكانت عادلة إلى حدٍّ كبير، كان في إمكانها أولًا أن تذهب مع توني وتعود إلى ديارها دون أن تخبرك بذلك وتظلُّ قِصَّتها في حياتك مفتوحة إلى الأبد، فتعيش حياة تعيسة مبنيَّة على أمل واهن. ثانيًا، عدم اعترافها لك هو أكبر دليل على أنَّها خافت على مشاعرك ما يعني حبَّها الحقيقيّ ولكن ليس كلُّ ما يتمنَّاه المرء يدركه، والحياة أمامك ماتزال طويلة، وأهمُّ ما في الأمر أن تعلم أنَّ عودة النجمة التي أهديتك

إيَّاها إلى حوزتك خيرٌ كثير من الله، فلو أنَّها احتفظت بها لكان الموضوع أكثر تعقيدًا الآن. يتمالك شادي نفسه ويرتاح من كلِّ ما كان يختلج في صدره من حزن على ريتا ويضع ما حدث معهما جانبًا، ثم توجَّه إلى مايا بالسؤال قائلًا: ماذا تقصدين بكلامك عن النجمة؟! ولماذا أنتِ مهتمَّة بها كثيرًا؟.

مايا: ينبغي علينا الذهاب من هنا فورًا وإلا هلكنا وهلك العالم بأسره فالشرير الذي يهدِّدنا يُدعى ترانس وهو على وشك الوصول إلى هنا.

عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصري على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

الفصلُ الثَّامن والعِشرُون

تنتقل مايا في لمح البصر عائدة إلى العمَّين إدريس وصباح في الأقصر، وبصحبتها شادي السَّوَّاك وقد عادا سالمين قبل أن يصل ترانس إلى المكان الذي كانا فيه. وقف أمام المسجد والشَّرر يتطاير من عينيه راغبًا في الانتقام، همَّ في تدمير المنطقة بأسرها لولا أنه اشتمَّ رائحة مايا وعبقها في المكان الذي تركته قبل لحظات معدودة، راح يتحسَّس المكان ويتلمَّس العشب الذي كانت تجلس عليه بل يقتلعه من مكانه، يقبِّله ويضمُّه إلى صدره حيث قلبه الخافق.

ما إن عاد إلى طبيعته واستلهم قوَّته من آثار مايا في المكان، حتى راودته الفكرة التي أرادها قبل قليل فشرع في تنفيذها وأخذ يحطِّم الأسوار الحديدية المحيطة، نهض من مكانه وأخرج من مكامن القوَّة في عينيه أشعَّة خلعت الأسوار من مكانها بلحظة واحدة وراح يحرِّكها بيديه بشكل دائري، وما إن حانت اللحظة التي يصدم بها الحديد بالمباني المحيطة بما فيها مسجد الإمام الحسين والجامع الأزهر ومقرُّ جامعة الأزهر حتى تعالى إلى مسامعه نداء الحقِّ وصدح صوت أذان العصر معلنًا موعد الصلاة وتجديد اللقاء مع الله تعالى، فخشعت قلوب المصلِّين وغلبتهم الخشية، وارتفع صراخ وعويل المجتمعين يرجون من الله أن يخلِّصهم من هذا البلاء. أثَّر ذلك في ترانس، فأعاد كل شيء إلى مكانه وتفادى حصول أي خسائر مادِّية أو بشرية احترامًا وإجلالًا لما سمع وخوفًا من الله العليِّ القدير.

******

نزل سهيل ونيفرتي أرض مصر وهو متوجِّس منها لكن ما دفعه للاستمرار معها والقدوم إلى تلك البقعة الطيِّبة التي لم يزرها من قبل رغم معرفته الكاملة بها وبتاريخها العظيم، أنَّه كان يشعر بمسؤولية تجاه العالم وربما يكون سببًا في خلاصه من الشرِّير ترانس، كما أنه كان متشوِّقًا للرحلة لعشقه المغامرات والعجائب، فيغتاله الفضول لمعرفة ماهيَّة هؤلاء الذين نزلوا الأرض وعاثوا فيها فسادًا. وصلا إلى نفس المكان الذي كان فيه ترانس منذ لحظات والذي شهد لقاء مايا وشادي السَّوَّاك لمرتين متتاليتين فقد كانا أيضًا يلحقان بمايا والنجمة التي يبحث عنها ترانس. توقَّف سهيل عن المسير ثم توجَّه بكلامه إلى نيفرتي وعنَّفها قائلًا: اسمعي يا نيفرتي!، لا أحبُّ أن أُقاد هكذا دون أن أعرف ما أنا فيه وعمَّ نبحث بالضبط، أعتقد أننا لم نجد شيئًا هنا وأشعر بأنك تضحكين عليَّ أو أنها لعبة من ألعابك التافهة.

تحاول نيفرتي أن تمتصَّ غضبه وتهدِّئ من روعه فتقول: ها نحن جئنا بناء على وصف الأحمقين بوجلو وماجلو للمكان بعدما ظنُّوا أنَّك ترانس وأنني لوجين حين شبَّهتك به لهما. قاطعها سهيل منفعلًا ولم تخف حدَّته: أنا ذاهب، أنا ذاهب يا نيفرتي وسأعود إلى وطني، فلو أنَّ هناك هلاك سأهلك بالقرب من ابنتي وأمِّها، وإن كانت هناك حياة كما آمل أن يمنحنا الله إياها ويخلصنا من شرورهم، فلن أخسر شيئًا وليس عندي ما أبكي عليه هنا في أرض مصر.

تبكي نيفرتي منكسرة فقد شعرت بأنها ستكون وحيدة في الحياة بعد إصرار سهيل وعناده، لكنَّ حرقة قلبها وغزارة دمعها دفعت سهيل للتراجع عمَّا عزم عليه، اقترب منها ومسح دموعها بيديه الرقيقتين، فأمسكت بيده على

خدِّها لتشعر بالمزيد من الحنان والعطف والأمان، ثم قفزت إلى صدره لتضمَّه بقوَّة فلم يجد نفسه إلا وقد انسجم معها ليشعرا معًا براحة متبادلة، فقال بصوت خافت: مشكلتي في الحياة تجاه المرأة بشكل عام أني لا أحبُّ أن أرى دموعها مطلقًا، فهذه القطرات تخترق حواجز قلبي وتشعرني بالحزن والأسى فأتعاطف مع تلك المرأة الباكية.

يمرُّ بجانبهما اثنان كانا يمشيان جنبًا إلى جنب في ساحة المسجد خارجين منه بعد صلاة العصر، فينطق أحدهما بلهجة حادَّة: إن لم تستحِ فافعل ما شئت!. يردُّ عليه صاحبه قائلًا: دعهما يا صديقي فهذه اللغة لا تناسبهم، إنهم لا يفهمون حديثنا فهم أجانب لا خجل عندهم ولا دين، تبًّا لهم من مفسدين في الأرض.

يفهمهما سهيل من نظراتهما المتبادلة فيبعد عنه نيفرتي برفق موضِّحًا لها أنهما في مجتمع شرقيٍّ ويجب أن يلتزما بالطابع العامِّ للحياة فيه. تنسحب نيفرتي بخجل ثم يتوجَّهان معًا إلى المكان الذي جلس فيه شادي ومايا من قبل، فتقول بعد أن صمتت للحظات: الآن أقصُّ عليك نبأ ترانس ومايا، السبب الرئيس لتواجدنا هنا، إنَّه لسرٌّ كبير، لكنني أحببتك يا سهيل ولذلك يجب أن أبوح لك بكلِّ شيء لعلنا نخلِّص العالم من ترانس وخطره على البشرية برمَّتها فلديه القدرة على أن يفنيها. يومئ لها سهيل برأسه لتتابع حديثها وهو شغوف بالاستماع إلى القصَّة، فتواصل كلامها قائلة: إنَّ ترانس أمير نجوم السَّماء كلها، النجم الأجمل والأوفر حظًّا منذ ولادته في درب التَّبانة، وكذلك مايا ابنة عمِّه أميرة النجوم وما من أحد يضاهيها جمالًا وأخلاقًا بين كلِّ الفصائل. أما لماذا وصل الأمر إلى ما هو عليه الآن، ببساطة لا يتعلق بكون مايا تكره ترانس بل على عكس ذلك،

هي تحبُّه وشغوفة به حدَّ الأبدية، إنما ترانس هدم مصير حبِّه بما اقترفت يداه من ذنوب. مايا يتيمة الأبوين إذ توفِّيا في حادث كبير منذ ألف سنة تقريبًا حين كانا في رحلةٍ سيَّارة إلى مجرَّة أخرى للتمتع بعظيم قدرة الله في خلقه، لكنَّ القدر جعلهما يدخلان في ثقب أسود عظيم ابتلعهما، هل تعرف هذه الثقوب يا سهيل؟.

سهيل: نعم، إنَّه فراغ معتم لكنه صلد ويقال أنه خزانة حطام الكون والجاذبية فيه شديدة فيبتلع الأشياء ويستحيل الخروج منه.

نيفرتي: أحسنت أيها العالم الكبير، هو كذلك، لكنَّهما لم يدخلا فيه بل اصطدما به فانفجرا إلى قطع جزئية لم يتمّ العثور منها إلا على جزئين صغيرين، تمكَّن جدُّ مايا من إيجادهما وجعلهما جزءًا واحدًا يكون ذكرى مخلَّدة لمايا، وليس ذلك فحسب إنَّما جعل فيهما قوَّته لأنه ملك النجوم في المجرَّة.

سهيل: وماذا يعني ذلك؟.

نيفرتي: يعني أنَّ من معه الحجر الأسطوري المقدَّس سيكون الأقوى من بين نجوم السَّماء لو عرف كيفية استخدامه وذلك عن طريق أمرين: الأول، حبُّ مايا وحبُّها لمن يحبُّها. والثَّاني، الاستخدام في الخير.

يتعجَّب سهيل ممَّا سمع، ويقول: يبدو لي الأمر أكثر تعقيدًا ويقع في حيص بيص.

تقهقه نيفرتي وتقول: تبدو جميلًا جدًّا وأنت متشوِّق لفهم الأمر، آه ما أجملك!. ثم تهمُّ في الاقتراب منه وتقبيله، فنبَّهها أنَّهما في مكان عام وعليهما احترام

تعاليم وأخلاق الناس فيه، فتعود مرغمة إلى وضعها الأول لمواصلة الحديث بإسهاب فتقول: ولكنَّ الأمر آفة لمن يستخدمها في عكس ذلك أي لأغراض شريرة، وترانس يعلم ذلك جيِّدًا وهذا سبب بحثه عن النجمة المقدسة، ليضمن أن لن تصيبه الآفة، فلو استخدم شرَّه وكانت في حوزة مايا ستكون قوَّته مهدَّدة بالضياع، وبسبب نقمة مايا عليه وعدم الارتباط به إلى الأبد لأنها الخير والحكمة والحب والطيبة وهو عكس ذلك تمامًا.

يخاطبها سهيل متعجبًا: وما الذي حوَّل ترانس إلى جبَّار شرِّير؟، وما الداعي لأن يخاف ومايا تحبُّه؟.

نيفرتي: إنه الكِبْر، لم يكن ليفهم أنَّ بقاء النجمة مع مايا ضمانة لها لأنها وحيدة، لم يفهم أنها تحبه وتدفع ثمن حبها الآن فهي لم تستخدم قوَّتها حتى اللحظة لتؤذيه.

الفصلُ التَّاسع والعِشرون

يذهب ترانس غاضبًا ويعيث في أرض مصر دمارًا، فيقوم بتبخير حصَّة كبيرة من مياه النيل فتجفُّ بعض أجزائه وتتعرَّض البلاد لمجاعة كبيرة لا تُعرف نهايتها، ثمَّ يهدِّد السُّكان بأنه سيمنع المياه كلها خلال أسبوع واحد إن لم يتمّ العثور على مايا أو النجمة المقدَّسة من خلال منبع النيل لهضبة البحيرات "فكتوريا".

يصل خطابٌ إلى السُّلطات المصريَّة من رجل يدعى "توني الشَّامي"، خطيب ريتا بأنَّه رأى النجمة رأي العين بل بقيت بحوزته بضع ساعات عندما كانت مع ريتا التي أحبَّها شادي وأحبَّته قبل أن تعيدها إليه في اليوم التَّالي للقائهما. أظهر في خطابه نبلًا وطيبة وخوفًا مصطنعًا على مصالحهم واستمرار الحياة في مصر إلا أنه كان في حقيقة الأمر يريد تدمير شادي الذي استحوذ على قلب وعقل ريتا وإن لم ترتبط به، فهي ماتزال تذكره أماه والحزن يسيطر عليها نتيجة بُعدها عنه وعدم استكمال حياتهما معًا، ما دفعه إلى الحقد على المسكين ومحاولة محوه من الوجود بأيَّة وسيلة، فكان ما كان عندما رأى النجمة بيد ريتا وعرف قصَّتها منها وربط بينها وبين حديث ترانس على الهواء فعرف أنها ذاتها وأسرع يستغلُّ هذه الفرصة النادرة ليزجَّ شادي في المشاكل ويدلَّ السلطات أو ترانس عليه وقطعًا لا بدَّ أن يقع في قبضة أحدهما. أنهى توني الخطاب وأرسله دون أن يفصح عن هويته أو يذكر شيئًا يتعلق بريتا أو يدل عليها ليكونا في مأمن من المشاكل وبعيدًا عن الاتهامات فكتب:

"إلى سُلطات شعب مصر العظيم، اعلموا أنَّكم قادرون على إعطاء ترانس ما يريد وإيجاد النجمة التي يتحدَّث عنها للتخلص من شرِّه والنجاة من عقابه. النجمة التي يطالبكم بها بحوزة ولد أغرٍّ يعمل في حيِّ الحسين يُدعى شادي السَّوَّاك. إنها الحقيقة فتحركوا وابحثوا عنه قبل فوات الأوان، وإن لم تصدِّقوا ما جئتكم به فالندم والخسران مصيركم. لا تسألوا عن هويَّتي فلستُ سوى محبٍّ لمصر".

تنتشر الرسالة في حوار تلفزيوني ويقرأون نصَّها على الملأ لاستنفار الجميع بحثًا عن شادي للإمساك به وتسليمه تمهيدًا لحصول ترانس على ما يريد. وحين شاهد ترانس ذلك الإعلان، كان أسرع منهم بكثير فلم يقصد حيَّ الحسين لعلمه منذ آخر زيارة له هناك أن شادي ومايا قد غادراه، فاستغلَّ المعلومات المصرَّح بها عن هويَّة شادي وقصد مركز قاعدة بيانات مصر، واستولى على أحد حواسيبها فأدخل اسم شادي للبحث عن صورته والتعرُّف عليه. تمكَّن في ثوانٍ من الحصول على المعلومات اللازمة، فغادر إلى الأقصر بلمح البصر وكانت المفاجأة للجميع وعلى رأسهم مايا التي كانت تحاول الوصول إلى حلٍّ الشيفرات التي تواجه بها جبروت وسحر ترانس. وبالرغم من تمكنِّها من قوى الخير المطلقة التي ستقضي من خلالها على ترانس، إلا أنها تريَّثت في استخدامها ضدَّه لأنها مازالت تتمنى له الخير وتأمل أن يتراجع عن شرِّه.

تشاهد نيفرتي كما الآخرين خطاب توني فتهبُّ من فورها طالبة من سهيل الذهاب معها إلى الأقصر فقالت: لا بدَّ أن نذهب إلى هناك، هذه المرَّة أنا من سيوقف ترانس وأخلص العالم من شرِّه فلم أعد أطيق رؤية المزيد من الضحايا يتساقطون في كلِّ مكان.

يطاوعها سهيل ويتقبَّل فكرتها بترحيب فيسألها: مع ذلك كله، أحتار في تحوُّلك المفاجئ عن مسار اهتمامك بترانس وتقديسك له. تبتسم ابتسامة ألم وتجيب: كنتُ حمقاء، أجل كنتُ كذلك وأعترف بخطئي لكني عدتُ إلى رشديً الآن. أنت لا تعرف ماذا تمثِّل لي مايا، نحن صديقتان عزيزتان منذ الصِّغر وقضينا أجمل الأوقات معًا، ترانس لا يحبُّ الخير لأحد وهو سبب كلِّ ذلك.

ذهبت نيفرتي بصحبة سهيل إلى الأقصر وكلاهما يكاد ينفجر كبركان جبليٍّ يحاول أن يثور منذ أزمان. سهيل ناقم على ترانس لقتله النَّاس الأبرياء وتدمير كلِّ معالم الجمال في الحياة وكذلك غضبه لرؤية الأهرامات وأبي الهول لأول مرة في حالة تحرق قلوب عاشقي تلك الحضارة والأرض إذ قام ترانس بتصغيرها وتشويهها حتى باتت بحجم الكوخ الصَّغير بطول لا يتجاوز المترين وعرض لا يزيد عن أربعة أمتار بالإضافة لاحتجازه لوجين والسَّيطرة عليها. أمَّا نيفرتي فقد كانت على علم بنقاط ضعف ترانس ووعدت سهيل بأنها ستنتصر لكلِّ شيء في الكون بشرًا وحجرًا.

راحَ ترانس يشوِّه معالم الحضارة في الأقصر وأسوان كما فعل في القاهرة والجيزة، فصغَّر المعابد والتماثيل الأثرية لتبدو كأنها ألعابُ أطفال يلهون بها ويتسلقونها. هاجر جلُّ الناس تقريبًا إلى المدن البحريَّة فباتت المدن القِبلية خاوية على عروشها لا يسكنها إلا شيخٌ كبير أو عاجزٌ ضعيف لم يتمكَّن من المغادرة.

تتسمَّر مايا في مكانها من الدَّهشة لدى رؤيتها ترانس يقف أمامها وعيناه تقدحان شررًا، كان هذا آخر ما تتوقعه ولم تكن لتتصوَّر أن ذلك الطفل المشاكس والشَّاب الوسيم الذي كان أقصى ما يحلم به هو رقصة معها على سطح القمر،

يتحوَّل إلى هذه الصورة البشعة، وبقدر صدمتها ومفاجأتها أسرعت تطرد أي شكٍّ وتباطؤ في قلبها من إنزال نقمتها على ترانس والبحث عن كيفية الانتصار عليه. كانت قد تركت العمَّين إدريس وصباح في مكان آمن في وادي الملوك ورفضت أن يرافقاها خشية أن يتعرَّضا لأيِّ أذى عند بدء المواجهة.

ذهبت إلى وادي الملكات لتحصل على آخر رمزٍ قد يربط ويفكّ كل الشيفرات ويساعدها على إبطال مفعول سحر ترانس على الحضارة والآثار التي باتت أشبه ببيوت ورقيَّة في أحد أفلام ديزني، وقد وجدته على رأس أحد التماثيل التي تمَّ تصغيرها وكأنَّ الذي أصاب الآثار كان في مصلحة العالم ليتخلَّص من هذه الكارثة، فجمعت الرموز وباتت على الشكل التالي:

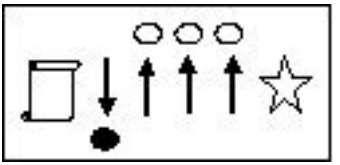

الفصلُ الثَّلاثون

جمَّعت مايا ما معها عائدة إلى الجداريَّة الأولى التي فيها الفراغ اللامع على شكل نجمة، وضعت نجمتها التي أخذتها من شادي وأستندتها بيدها اليمنى، لم يتغيَّر شيء!، حاولت أكثر من مرَّة، نقشت تحتها الأسهم والرُّموز لكنَّ شيئًا لم يحدث!.

اقترب منها شادي وهو يشير إلى الرَّمز الأخير: انظري إلى هذا الرَّمز يا مايا، إنَّه غير مفهوم وقد يكون هو ما ينقصك لإكمال الشيفرة.

مايا: لكنَّنا نقشناه كغيره من الرُّموز يا شادي.

شادي: الأمر محيِّر جدًّا وفيه سرٌّ غريب، نسأل الله أن يلهمنا الحلَّ لأنَّه يعلم نواياك ومحيطٌ بالخير الذي تحمليه.

وما إن فرغا من كلامهما وهما واقفين حائرين يشعران بخيبة الأمل بعد بذل هذه الجهود حتى وجدا رجلًا عجوزًا من سكان النُّوبة يقترب منهما، وجهه مجعَّد، قصير القامة، قويُّ الهامة عيناه لامعتان كلَيلٍ سرمديٍّ وبياض قمرٍ ربيعيٍّ. دنا منهما دون أن ينطق بحرف، أخرج من جيب سرواله برديَّة مصريَّة قديمة ناولها لمايا مبتسمًا، أخذتها منه وهي تسأل باستغراب: ما هذا أيُّها الرَّجل الطَّيب؟!. أجابها وملامح وجهه ازدادت استبشارًا وسعادة بما سمع منها

ووجده في أخلاقها من حسن استقبال ومعاملة: لقد حفظت هذا من الضَّياع لسنوات طويلة لم أفرِّط فيه أو أبِعه رغم ما يمكن أن يدرَّه عليَّ من أموالٍ طائلة وقد ورثته عن أبي وأجدادي. اقرئيه جيِّدًا يا ابنتي واعملي بكلِّ ما فيه على أكمل وجه، واعلمي أنَّ الله سيوفِّقك فيما تنوين القيام به، قلوبنا معك ودعواتنا لك.

قالها وذهب من فوره حتى غاب عنهما قبل أن يفيقا من دهشتهما ويسألاه المزيد من التفاصيل. أسرعت مايا تفكُّ طيَّات البرديَّة وتقرأ ما جاء فيها بلهفة:

"من كاتب المعبد الكبير، وصاحب السِّرِّ الخطير "سن دوا"،

إلى المخلِّصة النجمة السَّماوية أحاديَّة الخلق والجمال والصِّفات الفطريَّة التي لم ولن تشوبها شائبة، سلام الله عليكِ ورحمته وبركاته..

أمَّا بعد،

لا نعلم فالربُّ العظيم في سماواته وحده يعلم متى تأتين، لكن ما لا شكَّ فيه أنَّ ظهورك سيتقدَّم عليه شرُّ المدعوِّ ترانس المغضوب عليه، المستحق لعنة أبديَّة تسلب ما بقي من قوَّته الخارقة وتقتله شرَّ قتلة، وتطرد بقاياه من الأرض بل من الكون بأكمله. ما نعلمه أنه سيكون بينكما صلة رحم وحبٍّ لا يزول وإن زالت الشَّمس، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يتَّبع وقد كُتِبَ عليك أن تكوني عونًا للنَّاس عليه، واعلمي أنَّ قوَّتك تفوق قوَّته لكنَّه يستطيع سلبها ما لم تسارعي في تنفيذ التالي:

أولًا: عند تعامد الشَّمس على التَّماثيل الأربعة، ضعي نجمتك في وجه إله الظَّلام حتى تموت بداخله قوَّة وتأثير سحر ترانس، أمَّا لو كانت الشَّمس غير متعامدة ومرَّ اليوم الموعود من كلِّ عام أو أخوه، فاجعلي نجمتك أرضًا عند أوَّل نقطة تماس لأشعَّة الشَّمس والأرض بحيث تكون قريبة من التَّماثيل. وفي هذه الحالة تتحوَّل الأشعَّة إلى التَّماثيل وتكون النتيجة ذاتها. لا تخافي فأنت المنتصرة بإذن الله وقد اصطُفيتِ لنقاء سريرتك وطيب معدنك، هذا هو السِّر الخطير في النجمة وحرفنا إليك كبير وجلل، فتطهَّري من العِلل وأقدمي على بركة الله لتعيدي إلى العالم الحياة".

بات شعب مصر في خوف دائم من الواقع وترقُّبٍ مقلق من المجهول، فراحوا يرسمون خيالات عارية من الصِّحة، ويضعون تصوُّرات لما يمكن أن يفعله ترانس بعد ذلك، لدرجة أنَّهم خافوا من مصير تصغير الحضارة وهابوا تلك الفكرة خشية أن يحوِّلهم إلى أقزام فلا يتمكَّنون من العودة إلى طبيعتهم. رأت مايا كلَّ ذلك في أعينهم وتصرُّفاتهم والتمست لهم العذر لأنَّ ما نشره ترانس في العالم لم يكن عاديًا، إلا أنَّها لم تبرِّر عدم تكاتفهم لمواجهة الأخطار والفوضوية والعشوائية التي بات عليها حالهم ووقوف جيرانهم وأشقاؤهم أمام ما جرى مكتوفي الأيدي بحجة أنَّه ما من شيء يمكن فعله حيال الأمر لمساعدة مصر ما زاد نفور ونقمة شعبها منهم وعليهم بسبب تباين المواقف، فحين تعرَّضت أميركا وأوروبا لمثل هذا الموقف فُتحت خزائن الدول الخليجية المعتمدة على النِّفط كمصدرٍ رئيسي للدَّخل وأصبحت تجت تصرُّف مسؤولي الغرب وسلطة

الجيش الأميركي الذي يتَّخذ في بلادهم قواعد لإقامته بعد تخصيص تلك الدول الأراضي الكافية له وتهيئة المناخ الاقتصادي والبيئي والسِّياسي والشعبي، وبرَّروا لشعوبهم ذلك بالاستعانة بغير المسلمين في ظلِّ وجود جيشٍ قويٍّ هو الأفضل على مدار التَّاريخ في العالم العربي وقد كان حصنًا منيعًا مستعدًّا لمواجهة الأخطار من هجمات الأعداء، وهم ضدُّ مصر، بأنَّ: أميركا هي الوحيدة القادرة على حمايتنا من إيران ومصر مشغولة دائمًا بفلسطين وإسرائيل ومهدَّدة في أيِّ وقتٍ للاحتلال.

قالت مايا لشادي: لأجل هذه الأسباب ستظلُّون على هذا الحال لا تجمعكم غير الكوارث الكبيرة.

ردَّ عليها شادي ضاحكًا: وهل هناك كارثة أكبر من تلك؟!.

مايا: صدقت، لقد وصلتم إلى حدِّ التَّبلُّد، وكلُّ من يجد الآخر في حاجـة إليه فلا يلبِّيه ويدَّعي العجز، حتمًا سيأتي يوم يجد نفسه في الموقف ذاته وما من يدٍ تمتدُّ إليه لانتشاله من محنته أو حتى قلبٌ يواسيه ويُخفِّف عنه.

شادي: دائمًا كنا نمدُّ يد العون لكلِّ من يطلبها دون انتظار المقابل، مصر كبيرة يا مايا والآن ستواجه وحدها هذه القوَّة التي تهدِّد العالم ولن تحتاج لناكري الجميل في أيِّ شيء.

مايا: بلدكم هي الوحيدة التي شعرتُ فيها بالسَّلام النَّفسي، وأحاول الآن ردَّ الجميل لكم، هيَّا بنا يا شادي، فلنسرع.

لم تجد مايا تعامد الشَّمس بعد أن مرَّ اليوم وفات الموعد، فلجأت إلى البند الثَّاني في البرديَّة كما أوصاها كبير الكَتَبة وبالفعل هذه المرَّة حين وجَّهت شعاع الشَّمس إلى التماثيل الأربعة، حدث التَّفاعل ولأوَّل مرَّة منذ أزمان يرى تمثال راعي الظَّلام النُّور فتتحرَّك بداخله الفطرة السَّويَّة ويتوقَّف عن مدِّ ترانس بالقوى الشِّريرة بعد أن حقَّق أمنيته برؤية النُّور، تلك التي كان يحقد على العالم بسببها وأبطل بداخله مفعول الشَّر. أخذت الأشياء تعود إلى طبيعتها تدريجيًّا، التماثيل، المعابد، الأهرامات، أبو الهول، وكلّ ما تم تصغيره بدأ يعود إلى حجمه الطَّبيعي. شاهد ترانس ذلك، فارتبك وتخبَّط بتصرُّفاته وهو يشعر بأنَّ نهايته قد اقتربت ما لم يحصل على النَّجمة من مايا بأسرع وقت. أخذ يفتِّش عنها فعثر على العمَّين إدريس وصباح كما تركتهما مايا، فعلم أنَّها كانت في هذا المكان بعد أن شمَّ عبقها وعبيرها الذي يميِّزها عن سائر المخلوقات. حاول استنطاق العمَّين ليستدلَّ منهما على مكان مايا غير أنَّهما أظهرا بسالة وقوةً وصبرًا عجيبًا ولم ينطقا بحرف وأصرَّا أنهما لا يعرفان عنها شيئًا بعد أن تركتهما في هذا المكان. اشتاط ترانس غيظًا فعذَّبهما عذابًا نُكرًا وصعقهما بصعقة كهربائية التهمت آخر أنفاسهما.

في هذه اللحظة، وصلت نيفرتي بصحبة سهيل، فرحَّب بها ترحيبًا كبيرًا وطلب منها الاقتراب إلى صدره الذي لطالما نامت عليه، حاول التأثير عليها وإظهار الحبِّ واللين غير أنَّها نفرت منه ساخرة من تصرُّفاته وقالت: لم أعُد نيفرتي المغفَّلة التي توظِّفها في شرورك وتستغلُّها لمصالحك، تبًّا لك ترانس.

جالت بنظرها في المكان، فرأت العمَّين الطيِّبين جسدًا بلا روح، بكت متألِّمة لحالهما وصاحت بحرقة وقد خارت قواها: ضحايا جُدُد يضافون إلى القائمة، ما الذي أصابك أيُّها المجنون؟، هل غرَّتك الدنيا وحوَّلتك إلى مجرمٍ دمويٍّ بشع؟!.

ضحك ترانس عاليًا، صفَّق بيديه ساخرًا وقال: هل أنهيتِ لعب دور الشِّريرة التَّائبة؟. استعدِّي لتلحقي بهؤلاء الذين تعاطفتِ معهم وليكن مصيرك كمصيرهم.

همَّ في قتلها، جذبها إليه وأراد تقبيلها قبلة الوداع قبل أن يصعقها صعقة الموت. ركض سهيل كالسَّهم لينقذها فدفعته بيديها حتَّى لا يتعرَّض للأذى. سقط على وجهه أرضًا ثم رآها وهي تختنق من شدَّة التصاق ترانس بها وكتم أنفاسها عبر قبلته الكريهة، فانطلق من جديد ليردعه. انتبه ترانس له فترك نيفرتي فجأة وهي تلهث وتجمع أنفاسها، نظر إلى سهيل نظرة حقدٍ ثم تحوَّل إلى نيفرتي قائلًا: أهذا هو الذي تركتني لأجله؟، أتخونين ترانس العظيم من أجل إنسيٍّ لا

يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا؟، سأقتله أمامك لأجعل الدماء تنزف من عينيك حزنًا عليه. همَّ في قتله فقامت منقضَّة عليه وجعلته يرتطم باحد الأعمدة ويغيب عن الوعي لحظات كانت كافية لها لتتجه نحو سهيل فاحتضنته واطمأنت عليه. استعاد ترانس وعيه، وأرسل نحو نيفرتي بصاعقة اخترقت ظهرها. أحسَّت نيفرتي بحرارة الصَّاعقة، وقعت أرضًا بلا حراك فأجهش سهيل لهول المنظر وأخذ ينزف دموعًا حمراء. اقترب منه ترانس ليُلحقه بنيفرتي، لكنَّ لوجين تحركت فجأة بشجاعة كبيرة وقطعت قيدها الذي ربطها به ترانس ورمت نحوه بحجر ثقيل ارتطم برأسه قبل أن ينقضَّ على سهيل. استدار نحوها وعيناه تقدحان شررًا، ضحك بسخرية وقال لها بكلِّ غرور: أنا ترانس إن لم تعرفيني بعد، ترانس الذي لا يُهزم أبدًا، ودفع بلوجين نحو سهيل وأخذ يقهقه لمنظرهما معًا ويتوعدهما بالقتل.

كانت مايا قد فكَّت الرُّموز وأقبلت مسرعة نحو ساحة المواجهة وقد أذهلت شادي بقدرتها على احتمال كلِّ تلك المصائب. تسمَّر ترانس مكانه وهو يرى هذه البشريَّة تتجه نحوه بثبات وشجاعة، ثمَّ سرعان ما تعرَّف عليها عندما اشتمَّ عطرها الذي تغلغل في أعماقه وقال: لولا عطرك المصنوع من زهور الرَّيحان الخاصَّة بكوكبنا لما عرفتك، تعالي إليَّ يا حبيبتي. وحاول الاقتراب منها ليخدعها كما كان يفعل مع نيفرتي ليسلب منها نجمتها دون أن تشعر بذلك.

فطنت مايا إلى الأمر فردَّت عليه بذكاء ودهاء: وأنا لم أكن أتخيَّل أنَّ الذي أحببتُه يومًا وشهدت السَّماء على رقَّته وجماله وحبِّه يمكن أن يتحوَّل إلى قاتل عديم الرَّحمة والضَّمير، أتفعل كلُّ ذلك من أجل النَّجمة؟.

قالتها ورمت النجمة أرضًا بلامبالاة تشير عليه أن يأخذها. لم يصدِّق عينيه وحاول إظهار عكس ما يضمر فقال: هروبك مني غيَّرني، لكن ها أنتِ قد أعدتِ إليَّ نجمتي التي تختزن قوَّتي وبقي أن تعودي إليَّ بقلبك وروحك لنعيش معًا.

قاطعته بحدَّة: إنها نجمة الخير والحياة والحب، وليس الشر والظلمات والكره. ثم نظرت خلف ترانس فوجدت العمَّين الطيبين جثثًا مستلقية بلا حراك، ورأت ثالثة لم تتعرَّف عليها، فضحك ترانس وقال لها موضحًا: لإنها نيفرتي صديقة طفولتك وهاذين البائسين لم يخبراني عن مكانك فاستحقَّا الموت، مشهد مؤثِّر، أليس كذلك؟.

انحنت مايا على ركبتيها تكاد لا تصدِّق أنها فقدت العمَّين إدريس وصباح، أخذت تصارع نفسها لبعض الوقت ثمَّ تماثلت للشِّفاء التَّام من كلِّ ما قد يردعها عن التفكير في الانتقام من ترانس وإنزال أشدِّ العقوبات به جزاء ما اقترفته يداه منذ بداية نزوله الأرض. كانت قد رمت له النجمة لتخدعه، مال باتجاهها ليأخذه وقبل أن يلمسها، نادت عليه مايا بغضب، التفتَ نحوها قبل أن تلامس أصابعه النجمة، فقالت له: هذه نجمة مقدَّسة لا يمسُّها إلا الطيبين.

نظرت إلى عينيه ولم يتمالك نفسه وقد غرق في بحر نظراتها، لحظات وأخفت مايا ترانس من المشهد بهدوء تامٍّ إلى اللانهاية بنقمتها التي ما أرادت أن تستخدمها ضده أبدًا.

زُفَّ الخبر إلى العالم بأكمله فأرادوا الاحتفال بهايا ونجمتها المقدَّسة التي تجمع قوى كل الخير. لملمت مايا بقايا صديقتها نيفرتي وصنعت منها جزءًا مزجته بالنجمة لتظلَّ ذكرى حاضرة في قلبها ثمَّ دفنت العمَّين الطَّيبين وترحَّمت عليهما وصنعت لهما ضريحًا مزيَّنًا بأكاليل الورد والياسمين وغرست غصن الزيتون بجانب قبر إدريس قبل أن تلقي نظرة أخيرة للوداع. كان بوجلو وماجلو قد جنَّ جنونهما لهول ما حدث، حاولت مايا أن تهدِّئ من روعهما وتعيدهما إلا أنَّهما باتا مسلوبي القوَّة والإرادة، يسيران في الحياة على غير هُدى ورفضا العودة معها إلى الكوكب بعد أن شاهدا عظمة سيِّدهما تنهار أمامها.

شكرت مايا لوجين وسهيل وإن لم تكن تعرفهما جيّدًا وقالت: لم نلتقي من قبل لكن يجمعهنا ما هو أقوى من ذلك، حبُّ الخير والرَّحمة وهي روابط أقوى من أيِّ شيء آخر لأنها مصونة من الله لبناء الحياة واستمرارها دون صراع على ما هو زائل. ضمَّت شادي إلى صدرها وأعطته بعض الأحجار الكريمة لتساعده على استكمال حياة يحقِّق فيها طموحه وقالت له: لا تحزن على حبِّك الذي لم يكتمل، سيعوِّضك الله خيرًا منه، ثق في ذلك، لكن احرص على ألا تُغضبه منك فتنزل نقمته عليك، أحبَّ الله يحبُّك كل ما في الكون.

ثم جالت ببصرها على الجميع وقالت بصوت حنون: ليرعاكم الله جميعًا ويوفقكم وسامحوني إذ جلبتُ لكم الفوضى.

أخذت تصغر شيئًا فشيئًا وشعاعٌ مهيب من نور يحيط بها، وتشكَّلت على هيئة نجمة صغيرة لامعة كأنها ماسة تبرق في المكان بعد أن غربت الشمس وتوارى القمر خجلًا من ضيائها. راحت ترتقي إلى السَّماء وتبتعد عنهم وهم يتابعونها بأبصارهم الباكية وقلوبهم الشَّجيَّة مذهولين يتساءلون إن كانت ستجمعهم بها فرصة أخرى. خرجت من غلاف الأرض وأخذت تكبر وتكبر وعادت إلى مقرِّها النَّنوجمي حيث كانت، فرحبَّ بها قومها أيَّما ترحيب واستقبلوا أميرتهم أحسن استقبال بعد أن طال غيابها عنهم وعَظُم شوقهم إليها.

بكت لوجين متأثرة بما حدث، هدَّأ سهيل من روعها وعانقها لتستعيد عافيتها. نظرت إليه بحبٍّ وقالت: لطالما أحببتني بإخلاص وعرضت عليَّ الزواج، أمازال العرضُ قائمًا؟.

نظر إليها بدهشة وأجاب: ما الذي استجدَّ في الأمر؟.

لوجين: لقد أبصرتُ الدنيا على حقيقتها.

قاطعها قائلًا: أنا أيضًا، لهذا دعينا نعود إلى ما كنَّا عليه فعندي ابنة جميلة من المؤكَّد أنَّها تنتظرني الآن بشغف.

لوجين: وأنا؟، أتتركني وحدي؟.

سهيل: صحيح، أريد أن أعرف أمرًا قبل ذهابي، لماذا فرَّقتِ بيني وبين زوجتي وابنتي؟.

أطرقت ببصرها أرضًا واحمرَّت خجلًا ثمَّ قالت بصوت متهدِّج: لأنني أحبُّك وما أردتك أن تكون لغيري.

سهيل: ولا لك!.

هدأت تفكِّر قليلًا، انحدرت دموع الندم تحفر خدَّيها ثم قالت: أجل، كنتُ أنانيَّة مغرورة وأستحقُّ ما حدث لي.

ردَّ سهيل بصوت جاف يخلو من أيِّ مشاعر: لا عليكِ، فمن يُدرك خطأه يمكن أن يصحِّحه بسهولة. إنِّي أسمع صوت ابنتي يناديني، دعيني أذهب الآن.

يتركها سهيل تتخبَّط في ندمها وحزنها، تصارع الأطلال والذِّكريات، تحاكي النجمة مايا علَّها تلبِّي النِّداء وتُطفي حريق الفؤاد.